النقد الأدبي ومصادره

كلمة :

الحركة الفكرية لمختلف العصور ضرورية لمعرفة الحياة العلمية والأدبية أو نفسيات الجماعات وطرق التحري عن آرائها وما تستدعي من معرفة وكأننا نحتاج الى دليل في ذلك بل الاستدلال من المهمات ... لما نرى من التهجم على التاريخ من وجوهه ، وعلى (التاريخ الأدبي) ، أو على تاريخ النقد الأدبي من كل ضرب من أناس لا شـــك أنهم اعداء (التاريخ السياسي) و (الأدبي) معاً ...

والشعراء والحـكماء وتواليهم جعل اقوالهم توزن بموازين التقدير والاعجاب أو الالتفات الى مهمات الشعر والحـكمة لتبيين وسائل القيمة ووجوه الاهتمام بها وطرق تقـديرها بل ان ظهور الأدباء المتوالين بمزايا خاصة بكل واحـد ولّد الالتفات وصار تعاقبهم يعدّ من اســـباب التكامل وعوامل الاهتمام بترك الوحشي ، ومراعاة الرقة والوصف والمدح والرثاء ، واختيار المعلقـــات والحوليات مثلاً او مدح من يقول (ومن ومن) اعني (زهير بن ابي سُلمى) او ضرب قباب لأكابر الشعراء مثل النابغة الذبياني في اختيار افضل الشعر في الموسم من (اسواق العرب [1]) وترجيح افضل شاعر ليكون شاعر القبيلة الذاب عنها الموضح مزاياها ...

كل هذه من وسائل اكبار الشعر ، وانتخاب جيده واظهار قدرة صاحبه ، وهذا

---

(١) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب : في ثلاثة اجزاء للاستاذ السيد محمود شكري الألوسي الطبعة الثانية في المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٤ م .

واسواق العرب في الجاهلية والاسلام تأليف الاستاذ سعيد الأفغاني . المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٣٧ م .

نقد في المعنى ، ووسيلة للتقدير او الانتقاء ، بل ان حفظ هذه المختارات التي نالت مكانة انتقاء ونقد معاً وبيان وجوه ما جمعت من ثناء ...

واجل من هذا ان ظهور الشعراء متوالياً وتميّزهم وتفوقهم بمزايا جديدة يشير الى نقد ما قام به السابقون ، فيقال بزّهم اوفاقهم وامثال ذلك ويراد بهذا النقد الأدبي ابداء خير ما عندهم من شعر ، والأمر المهم ان النقد في الدرجة الأولى يعتبر في النظام فأنه تتجلى فيه الصنعة بوضوح ، وهو موطن الأدب ، ومحل الحكمة ، وطريق البيان الأجلّ ... اما اعتبار الأدب العربي مقصوراً على المنظوم والمنثور الفنيين فهذا هو الصواب ورجح احسنه ، والعرب تطور الشعر عندهم ، ونال موقعاً من نفوسهم وصار يهمل ما قلّت قيمته ، وهكذا ظهر أحسن ما فيه بمزايا خاصة او عامة .. فيعدّ هذا الانتقاء نقداً عملياً ، فلم يحفظ المرء إلا خير الشعر ، ويبقى كل ما هو خير من سابقه ..

والثروة الأدبية عندنا من أول أمرها غزيرة ، فلم تحتج الى ما يكملها من التاريخ ، والعلوم ، فان ذلك لا علاقة له بالأدب الراقي وان لم يتجرد منه ، او يعدّ من ضمنه ، إلا انّ التاريخ اقرب الى تصوير الوقائع ووصف الحالات الاجتماعية والحروب .. مما يعد بياناً .

لاشك ان الأدب تابع لأساليب يحتاج الى تقدير قيمتها كل من تذوّق الأدب وادرك وجوه الصنعة ، وكذا تختلف اوضاعه في عصوره ، وتتنوع هذه الأساليب او تتبدل الرغبات الأدبية في الأداء والتعبير عن الأغراض وهنا يتوجه الى المتانة والضعف ورقة المعنى واضطرابه والترويق ورعايته ، والزينة ومحلها وما ماثل من امور عديدة ، ويلخص النقد في أنّ مقياسه الذوق ، والرقة أو دقة المعنى وحسن الاداء .

فالذوق يحكم بأن هذا الشعر صناعي ، مفتعل ، او أنه متكلف ، فيراعى في التقدير الوضوح ، أو التقييد او وصف ما لم ير ، او القيام بما يشاهد الى غير ذلك من الفصاحة والالتواء والبلاغة . والضرورة تدعو أن يحكّم في نقد الأدب الأدباء وحدهم دون العلماء .

وهنا يتولد النقد الأدبي من نواح عديدة :

١ — ما قاله ادباؤنا الأكابر .

٢ — ان نفكر فيما هنالك ونناقش ، وننظر النتيجة وهذه الحالة لا تخلو من تأثير ، ولا يهمنا امر ذلك بقدر الإستفادة من التجربة .

٣ — بعد الاطلاع ان نفكر تفكيراً ثانياً في المنظوم والمنثور وما ينكشف لنا عن نتائجه في المقابلات ، او أن نقدم هذه المعرفة ونقابل بينها وبين غيرها ونحكم ذوقنا فنختار الأرجح .

٤ — ان ندقق الآثار الأدبية دون تأثر بالنقد الأدبي وباقوال الأدباء ، ونتوصل الى نتيجة وهذا صعب .

ترجع تدقيق النقد وتاريخه ، والآثار وما قيل فيها ، او ما يترتب عليها ، والقواعد الموضوعة ، وما نتوصل اليه من نتائج او نعمل لأمره لنتحصل على فكرة صائبة ولا يهمنا حينئذٍ أن توافق ما قاله ادباؤنا ، او نخالفه على ان نشترط ما اشترطناه في هذه السبيل من حصول ذوق أدبي وتمكن من الأدب تمكناً يخول هذه الصلاحية .

التجرد عن العلاقة صعب ، والتأثر بالماضي لا ينكر الا ان الفكرة الوقادة والذوق الأدبي يحكمان في الأمر ، وهما عدة الأديب وسلاحه اوهي قدرته وموهبته معاً .

والنقد العلمي هنا لا محل لايراده بأكثر من أن نقول إنه تابع لقواعد آداب البحث والمناظرة ، واساليب ادارة الجدل فيها .

ان دائرة الآداب توسعت ، وصار ينظر اليها بمنظار الأدب العالمي ، وهكذا ينظر الى الأدب العربي في عموميته كأدب عالمي بالنظر للآداب الشرقية ، فصار النطاق اعم ، وبالتعبير الأولى لوحظت مكانة ادبنا من آداب الأمم وطريق التوصل الى ما عندها وهل في الامكان تشميل ذلك على ما لدينا فسكنا نميل الى معرفة جديدة واضافتها الى ما عندنا .

وهكذا يقال في النقد ، وما حدث من تطور فيه ، وما لحق من آراء أو ظهر من تلاحق افكار ، وبهذا زاد التنوع واضيفت مادة ، وروعي الأسلوب وهكذا ، ولا تزال آمالنا واغراضنا واهدافنا متجددة ... كل هذه تدعو لتكامل الأدب والنقد معاً من الوجهة التاريخية .

واذا كانت مزايا كل شاعر تؤدي الى هذا التكامل فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة ، وطريق للمعرفة والفيض الأدبي ... فلا وقوف ، ولا حدود لهذا الازدياد والتكامل وآمالنا تدعو الى الالتفات الى النواحي المتجددة والطرق الحديثة وسائر الوسائل ...

١ — في الشعر الجاهلي

كان ولا يزال الشعر مقبول المكانة . وافر الحرمة نحس بالحاجة اليه ، ونميل الى ما نتغذى به منه ونلمس الحكمة والأدب من خلال سطوره فهو خطاب الروح ، ومناجاة النفوس . . ونرى إعجابنا مقروناً دائماً بالحكم له أو عليه ، وبالتعبير الأولى اننا نقول هذا الشعر فائق وهذا لم يكن . وكلامنا هذا آني ، لم يكن مسبوقاً بمقدمات ، وانما هو تابع للشخص ورغبته فيه ، أو نفرته منه في الحال دون اتخاذ نهج علمي ، أو مقياس أدبي يقدره الذوق ، ويقبله أو ينبو عنه ...

وأمر آخر أن الشعر كان قد ظهر الى الوجود في حالته الأولى ولم يحتفظ بها ، لما جرى عليه من نقد أدبي من نفس الأدباء فعدلوا فيه وبدلوا كثيراً ونرى الرجز ، وما شابهه من بقاياه فالشعر تطور كثيراً وابحره تنوعت كما نستدل به من حالاته المشهودة فكان تطوره ناجماً من الاهتمام به وتوالي علو مكانته وهذا أيضاً نقد وانتقاء معاً . واستقراره وسموه انما كان باهمال سابقه فالتأثير في الأداء والأسلوب من جهة ، وفي التفوق في نفس الأسلوب

كان من الأخرى . وهل بقي ثابتاً بعد تلك التطورات ؟..

أوضح هاتين الناحيتين ، فأقول :

جاءت أساليب الشعر مقصورة على (الرجز) وامثاله ، فجاء القصيد ، وزادت أبحر الشعر ... وتكامل نوعاً واستقر وكل هذه الأبحر زيادة في التنوع ولكن هذه بلغت من الكثرة حداً كبيراً ، فصار الانتخاب والانتقاء في الموضوع وسموه والحالتان لازمتا الشعر ، وصار يتذوق في كل منهما المرء بمقتضى حالته النفسية ، وموضوعه الاجتماعي ، واستقرت الأساليب في الأبحر نوعاً ...

وكل هذه لم تختلف عن الاتصال بماهية الشعر ، واسلوبه والترجيح فيه مما هو من شأن الشعراء وتطورهم في الشعر وهكذا مضوا ولا يزالون جادين في توليد ضروب ، وتأكيد أوضاع ، واظهار مواهب ...

وأمر آخر تابع لما استقر عليه الشعر أعني به الموضوع الذي تناوله الشاعر ، فاننا لا ننكر أن هناك شعراً يتفوق على غيره وان كان البحر متفقاً ، والأسلوب متقارباً الا ان المزية في القوة والضعف ، والأداء والتعبير ، والمعنى المقصود ، ومزايا يقدرها السامع الناقد وبين هذا الشعر ما بلغ من الوفرة حداً كبيراً ، فكيف الانتقاء ؟ وبأي وجه حصل ؟

هذا هو موضوع النقد ، بعد انتقاء الأوزان ، واستقرار الأساليب جاء عهد الاصطفاء فكان هناك اسمى ما نال الرغبة ، واكتسب المكانة بين الشعر الجاهلي ، وهي المعلقات ، وبعض المقاطيع والقصائد . . . فتولدت فكرة لا ينكر أمرها ، وهي (الاختيار) الواقع ، وهذا قد قطعاً . وكان اجل مقاييسه ابلغ الأشعار المختارة واكبرها أثراً في النفوس والمعلقات من اخر الشعر وأعظمه ، فاتخذت خير مقاييس ، ثم روعي ما هنالك من شعر مقارب لها في تفوقه ، فاعتبر مختاراً مثل ديوان الحماسة ...

ولا نهمل امراً آخر وهو أن الشعر الجاهلي لم يكتف الأدباء في نقده من الوجوه المذكورة ، وانما ادركوا لكل شاعر مزايا دعت الى تفرقه ، وأدت الى مقابلات بين هؤلاء المسلّم لهم بالقدرة الأدبية ، فكان الواحد يختلف في نهجه عن الآخر ، وزاد الاتصال بكل واحد اكثر من غيره ، وساق الى بيان مزاياه في ادبه ... فكانت وجهته جديدة ، وكان نقداً آخر لمزايا كل شاعر وادراك قيمته الأدبية ، ولا ندع ذلك جانباً دون توضيحه بأمثلة أدركها ادباؤنا ، فكانت كلتهم الأولى والأخيرة بل صرنا نفكر فيها وما تلهمنا من مزايا ، وما تدعو من حالات ... فاذا كانت المزايا من نفس الأدباء في توجيه الأوزان وانتقائها واتخاذ ضروب فيها ، أو من نقاد الأدب في الاختيار والانتقاء فلا شك ان الوجهة الأخيرة من (النقد الأدبي) تقضي بتفاضل الموضوع في امر دون آخر فنقطع بمزايا كل شاعر بادراك ما عنده .

وهنا نستطيع ان نعد من مصادرنا المهمة كتب (طبقات الشعراء) وهذه وافرة المادة واضحة في أوجه نقدها وفي دواوين الشعر الجاهلي وشروحها مادة غزيرة واهم من كل هذا أوصاف الشعراء لاكابر ادبائنا مثل شعر فلان اذا غضب ، وفلان اذا رهب ، وفلان يجيد الغزل والتشبيب ، والآخر الهجاء ، وهكذا المناظرة ومن يجيدها ، وكلها نقد للآخرين الذين قصروا فيها ، وتظهر مزايا (النقد) بما نعت به كل شاعر من كلمات قد تغني عن كتاب يكتب ، أو مجموعة تدوّن . فهي اشبه بالأمثلة .

وعلى كل حال لم يطرق هذا الموضوع كثيراً ، ولم تظهر الأقلام مزاياه ، والاتجاه الصحيح فيه لا يتيسر إلا بعناء ، وان كتب النقد تغربل المباحث ... ولعل الأيام تكشف عن جهود اكابر علمائنا فتحقق لنا اشتغالاتهم لنتمكن من البناء عليها بما هو من متجددات العصر ... ومزايا الشعر الجاهلي بل المتفوق المقبول منه لا على سبيل الحصر ، وانما نورد الأمثلة لنعلم ما فيها ، ونترك الباقي لمن احب الاستيعاب والاستقصاء . ومؤلفات العرب في

الموضوع كثيرة لا تكاد تحصى ، وربما جاءت رسالة أو كلام عابر فيوضح مزايا خفية عن الأنظار . والاستيعاب صعب ... فنرى الأدب العربي غزير المادة والتدوينات عنه كثيرة وأملنا حسن التوجيه .

إننا نرى القصيدة يلقيها الشاعر على الجماهير ، فنرى المحبذين لها كثيرين وربما تتفق الكلمة على الاستحسان ، وهذا لا يكفي حتى نعلم طريق التوصل الى الحكم والبحث العلمي لا يقف عند اتفاق الكلمة ، ولذا نرى بعض الأدباء يتناولون هذه القصيدة بالنقد الأدبي ، ويبينون مزاياها ، وما اعتراها من خلل أو ما فيها من نقص . واختلاف الاتجاه بين الماضي في النقد وبين الحاضر قد أبعد الشقة ، ونريد أن نحقق مقررات الأدباء قديماً في ذلك الشعر ثم نتناول امر هذه المزايا وانها تابعة للذوق ، أو التحقيق العلمي والأدبي ، فتتكون لنا فكرة في هذا النقد فنعلم منه (تاريخ تطور النقد الأدبي) في مختلف الأزمان ومن ثم نستخلص من هذا النقد ما يصلح ان يكون داخلاً في النقد العام لننتقل الى ما نحتاج الى تقريره ، فيتكون لنا مجموع في مزايا النقد الأدبي والنتائج محلها وأثرها .

ولا شك ان موضوع النقد الأدبي يتناول شاعراً بخصوصه ، وذكر مزاياه الأدبية ، وما نلحظ من نقص فيه ، ثم نأخذ الآخر فنمحص عنه ، وهكذا بالتوالي ، فيسهل ان ننتزع مطالب في النقد للأدب العام ما يحقق من اماني ، نود أن تكون أمام عين الناظر ، وان يتجنب ما يداخله الشك والريب ، وفي هذا انتقاء مستمر .

والأمر لا يأتي اعتباطاً ، او ارتجالاً ، وانما يكون مبتنياً على اساس علمي بل تاريخي يحقق ما وقع ، ويلهم اوضاعاً علمية ، واصلاحاً ادبياً ... وبهذا يصح ان نفرق في الحالات التي ندركها وهكذا ... فالمفاخرات والتهاجي بين العشائر مما يصلح مصدراً أيضاً ، وهذه المقابلات الفكرية تخص الأغراض التي يستهدفها كل شاعر وندّه ... وفي هذه نوع أدب دقيق ورقيق . ومثله الغزل والتشبيب ويتوجه النقد فيه على وصف ما لم يره الشاعر

واما النثر فلا يختلف عن وجوه النظم وما فيه من أوصاف وموضوعنا (مصادر النثر) وهذه تدعو الحاجة للنظر فيها وتناول :

١ — الأمثال : وهي من اقدم النثر الأدبي واحكمه اتقاناً ، ولا تشوبه شائبة ... والمثل خلاصة قصة ، واعتنى العلماء بالأمثال فدوّنوا كتباً نفيسة منها :

(١) أمثال العرب : للمفضل الضبّي المتوفى سنة ١٧٠ هـ — ٧٨٦ م . طبع في الجوائب في استنبول سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢) جمهرة الأمثال : للامام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ — ١٠٠٤ م طبع على الحجر في بمباي سنة ١٣٠٩ هـ وعلى هامش أمثال الميداني المطبوعة في مصر سنة ١٣١٠ هـ .

(٣) مجمع الأمثال : لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ — ١١٢٤ م ، طبع عدة مرات منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد [1] .

وكل هذه انتقاء للمستحسن من الأمثال ونقد معاً .

٢ — الخطب : وهذه قصيرة في الغالب ومحكمة الصنعة مثل خطبة قس بن ساعدة الأيادي وخطباء كثيرين غيره والنفوس تتطلع الى اجمل التعبير وأحسن الأساليب مع قوة في المعنى ، ومتانة في اللفظ في محل ورقّة في آخر تبعاً للموضوع وللذوق في اطناب أو ايجاز ولذا نرى خير معبّر عن مناهج خطبهم قول القائل :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومثل كلمات وفود العرب على كسرى . واما سجع الكهان فانه يدخل خطبهم وهو منتقد لركاكته وزال من البين وكان مضرب المثل (سجع الكهان) ويعد من

(١) الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف تأليف الدكتور محمد اسعد طلس . مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٣ م ص ١٦٦ .

أوائل ما توجه على النثر من نقد ومن الكهان المعروفين شق وسليح .

٣ — الرسائل : لا تختلف عن الخطب كثيراً ومن أهم أوصافها الايجاز والاحكام ببسالة : وهي ظاهرة من ظواهر حالة الأمة ويجلوها النقد سواء في صفوتها أو إشتباكها في الحضارة .

والآثار الأدبية ومخلّدات الثقافة بين أيدينا تصلح أن تكون أصلاً للنقد ، والآراء القديمة في النقد تعين علاقاتنا بها ، ونستأنس بموضوعها وربما كان البناء عليها وهذه قلّ أن نراها مجموعة كما نرغب ، أو كما نريد وانما نلتمسها في مظان متفرقة ، نرى الكلمة . فنرى فيها الكفاية لتوضح عن شاعر أو أديب ، ونشاهد القول فنتخذه وسيلة البحث والبناء .

وكان العرب في سالف عهدهم لا يلتفتون الى البيان إلا من ناحية الموضوع أو من ناحية السبك أو نقد الرأى ، وتوجيه الفكرة ، وهذه من أجل ما عندهم من النقد ويراعون بحق مقتضى الحال ، ولكن لا يجدون ذلك في كل قول ، وانما رأوه في المختار ، وشاهدوه في المنتقى من الأشعار ، والخطب ، وسائر ضروب البيان : وهذا خير مقياس يعين مزايا الكلام ، وهو انتقاء ، أو نقد في الواقع وابراز لما هو الصفوة ورعاية للمقبول المرضي وتاريخ النقد متفرع عن التاريخ الأدبي ومتصل به اتصالاً وثيقاً .

٢ — في العهد الاسلامي

ان آداب الأمم ترجع في الحقيقة الى كتاب ادبي ينتشلها من وهدتها ، ويؤسس لها ادبها فتجري على منواله ، والعهود الأدبية للأمم ترجع في ذلك الى مثل هذه المؤلفات ، والكتاب العزيز (القرآن الكريم) نهج بالأدب ، بل سار به سيرة عظيمة ، وبلغ بالأمة ادباً رفيعاً يصعب تقدير مداه ، أو الوصول الى منتهى غايته .

والأمة رعت هذا الكتاب العزيز رعاية لم ينلها كتاب ديني ولا ادبي ، حفظته ،

ودرسته وتعلمته ... وهو في كل ذلك دروس ادب، ومعرفة، وحكمة بل لم تقف عند حدوده، وانما رعت ما يدعو لتمكين المعرفة به ، والوصول الى اغراضه ، فنظمت الأدب من طريقه العلمي لغاية هذه المعرفة ، وامل الاتصال بمعانيه ، والاخذ بأحكامه .

ذلك ما دعا ان تميل الأمة الى تدوين الأدب ، وفتح الطريق للمعرفة الأدبية ، فجمعت مجموعات أدبية في ضروب متنوعة ، وصنوف مختلفة ، سار كل منها في توسيع ناحية الأدب الجاهلي وهكذا كان ما كان من آثار خالدة ، ومدونات جليلة الأثر . ظهرت في الدواوين الجاهلية ، وفي الشعر الجاهلي ، وفي الأدب الأموي من تخضرم وغيره وان كثرته أدت الى حاجـــة التنظيم ، ودعت الى أمر الترتيب والاستغناء بما لا تـــدعو الضرورة ، ضرورة المعرفة اليه .

فظهور الاسلام أحدث اختلاطاً عاماً بين العرب ، وجعل اساس لغته القرآن الكريم لا كثرة الناطقين باحدى لهجاته . فوحّد الأدب وانتهج به نهجاً مرضياً وان الآداب لما سبق عصره عهد (اسواق العرب) وبعض بقايا الماضي القريب من عهد الأســواق واصحاب المعلقات ...

وهذه تكلمنا عليها ببيان مكانة الأدب العربي والعراقي منه حتى ظهور الاسلام ومن ثم لزمنا معرفة ما احدثه الاسلام من تجدد في الأدب ، وشمول فيه وتدوين وتكامل في المادة باضافة مادة جديدة للقديم منها ، وهكذا حتى خلّدت الأمة العربية في العراق أدباً لا نظير له في آداب الأقطار ، وصار قدوة العصور وقدوة الأمم العربية الاسلامية ، وبنيت على نهجه وخططه آداب الأقوام التي دانت بالاسلام .

صار لسان الأدب ، ولسان العلم ، والتعبير عن الفن ، وسائر ما هنالك من ثقافة فلا تنكر مكانته في تهذيب الأدب العربي القديم ، والتطور الجديد الذي ناله ... وعاد ثروة لا تملكها أمة من جراء أنه لم تنقطع الصلة بأدبه القديم ، ولا تأخر عن الأخذ بالجديد

الجدير بالأخذ ، فنال الحسنيين ، واكتسى الاثنتين وحق له أن يفخر بتلك الثروة ، ثروة الآباء والأجداد ، وان يفخر به الأدب العربي باعتباره حفيظاً أميناً عليه ، جاء الكتاب الكريم نبراساً مضيئاً ولا يزال أثره وتأثيره مؤيداً هذا الأدب مؤكداً له في نثره وبلاغته وأسلوبه الذي امتاز به ، بل أحدث تجدداً لم يكن مألوف العرب الأولين في شعرهم ، وجاءت الآية أنه أتى القرآن الكريم (بلسان عربي مبين) لم يختلف في أدبه وان تعالى في أسلوبه فكان اتقانه أكثر وتزايد بصورة أجل بحيث عدّ غير مقبول ممن وصفه تعالى بقوله (وهو في الخطاب غير مبين) وجاءت أقوال الرسول (ص) في أحاديثه الشريفة وأقواله الحكيمة وبيانه الجليل في مثل قوله (إنّ من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) ، وأقوال الخلفاء الراشدين وكلماتهم المأثورة وخطبهم النفيسة التي تداولتها الألسنة وظهر الشعر سائراً في طريقه وان اختلفت في بعض مطالبه ، فلم يتغيّر في شكله ولونه وكان الاسلام جاء مقراً له ، موضحاً موضعه ، مؤكداً أسلوبه من وجوه كثيرة وان علا عنه بما حوى معولاً على البساطة والصدق في اللهجة والاحكام في الأداء .

ولم يقف الأدب عند حدود ذلك ، بل زاد سلاسة ورقة ، وانما تناقل العرب الأدب الجاهلي وأضيف الى الأدب الاسلامي ، وكذا ما تجدد في أيام الدولة الأموية ، وأن الطابع الأدبي لم يتغير كثيراً والسياسة خدمت البيان من وجه ، فكان في اسلوبه ومجراه لم يختلف عن أدواره السابقة إلا في الرقة والاتقان .

حفظ أدبه المعاصر ودوّنه من وجوهه المتنوعة ولم يفلت منه إلا القليل ، بل حرص القوم كل الحرص على أدبه الفائق ، وتناقله الناس بتهالك ، وجمعت بعض الخطب والأقوال الحكيمة والأمثال كما في العهود السابقة فأضيفت الى هذه الثروة ، فزاد النمو ، وما زال في هذا التزايد حتى بلغ الذروة ، ونال مقاماً عظيماً .

والناس في رغبة اكيدة للمعرفة ، واتصال باللغة العربية ، تناوله العرب كما تناوله

آخرون بأمل المعرفة ورغبة الانتفاع وربما كانت هذه هي الغالبة وهي الأولى لما لها من التعلق بسبب من هذه اللغة للاتصال بالأمة العربية والتعرف لها من طريق الأدب العربي ، والأخذ به من أكابر رجاله .

ولم ينقض هذا العهد سنة ١٣٢ هـ إلا وهو طافح بالحروب الخارجية والمقارعات للفتح ، والحروب الداخلية والفتن وكل هذه لم تمنع من التوغل في الأدب ولا منعت من سيره أو أخرت نموّه . بل زاد الأمل في بلوغ الغاية الكبيرة منه .

وكان يلخص الأدب العربي في الأدب الجاهلي ، وأدب القرآن والخلفاء الراشدين والأدب الأموي ، والقصد من هذا نموّه في أيام هؤلاء ، ودوامه وتكامله فلم يفلت عهداً قديماً يقدمه ، ولا ترك أدباً جديداً معاصراً إلا أخذ به وانما كان على نهج لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمة الأدبي ولا ريب أن (الكتاب الكريم) وجّه هذا الأدب ، فصار العرب يلتمسون معاني الكتاب من الأدب الجاهلي فقفته ، وصار يثبّت الأدب المعاصر لادراكه عصره وتوالى في سيره .

تكونت الثروة من جراء هذه العناية إلا أنها متناقلة ، وحصل حفّاظ كثيرون لهذا التراث ، حراس له من أن ينالهاغتيال، ودونته مجاميع ... وصار ثروة الأمة لمختلف عصورها ، وزادت العناية في العصور التالية ، ولم يتغيّر وضعه في هذا الأدب ، بل صار في تكامل أكبر وأجل . ولا شك أن هذا الأدب تبدأ العناية به منذ بدأ الاسلام ، فلم يهمل أمره ، بل توالى باستمرار وانّ علماءنا ادباءه وعلماء الأدب في الوقت نفسه .

وفي هذا العهد تغير النقد كثيراً وكان ظهور الاسلام أعظم حدث في توجيه الأدب ولفات الأنظار الى نواح جديدة من نقده فاكتسب رقة ونال تفوقاً على ما تقدمه من الآداب الجاهلية .

وكان (القرآن الكريم) خير أثر مرشد ومهذّب في هذه الآداب وتمكّنها في

الاسلوب وأن اللغة نالت أجل مكانة ، وكذا كان (الحديث الشريف) قدوة المتأدّبين سواء في خطبه (ع) أو في أقواله الشريفة كل هذه ينطوي تحتها نقد عملي عظيم في الانتقاء للألفاظ والاختيار للأساليب المقبولة زيادة على ما مرّ القول فيه في العهد الجاهلي وما جرى على الشعر والنثر من نقد وهو في الحقيقة ولّد أرقى الأساليب الممتازة وهو نقد فعلي ماثل أمام عين الأديب ويتجلى في المناضلات العشائرية والأوضاع السياسية والمنافرات بين الشعراء سواء كان بين المسلمين واعدائهم أو في الوفود على الرسول (ص) وتظهر في قصيدة كعب بن زهير وامثاله مما هدّمه الاسلام من تأر وورّث الى غير ذلك من أدب جم نقضى الاسلام على العصبيات الجاهلية .

وعلى كل حال أن النقد الجاهلي وما جرى عليه من تطور قد قبله المسلمون وزاد القرآن في تهذيبه وجاء العهد الأموي مؤيداً ومؤكداً .

٣ — العهد العباسي

انّ تاريخ الأدب العربي واسع الأطراف غزير المادة خدمه العرب والمسلمون جميعاً ودونوا آثاراً كثيرة فيه ، ولا تزال آثاره مطمورة وتحتاج دائماً الى اثارة سواء في شعره أو في نثره ، فالشعر العربي ديوان العرب ، ومدارُ فخرهم ، ومقارعات أدبهم وتفاضلُ عقولهم ينطوي على ثقافتهم ، أو هو أدبهم العام الشامل ، مادته غزيرة تولى العرب ضروبه ، ورعوا شؤونه ، فقاموا بمهمته وعنوا به العناية كلها ، وأملهم أكبر ، وطالهم أجل ، ووضعهم أرقى الأوضاع يحاولون أن يأتوا كل يوم بشيء جديد وربما يعجز المرء من ابداء كل ما عنده في الشعر العربي أو يدرك جميع قيمته ، ودرجة الاهتمام به .

يتمايز الرجال بمقدار اتقانه ، ويتفاوتون في الرتبة بما ينطقون به من حكمة ، أو كلمة

سائرة ، أو وصف بديع ، أو أمر عزيز و « رب قول أنفذُ من صول » والكلمةُ الواحدة تخلد الذكر ، أو تضعُ ، فهو عندهم وعاء الحكمة ، والمثل السائر ، والأدب الجم ، والصنعة من وجوهها المنوعة ، وطرقها العديدة .

لم يقفوا عند استظهاره ، أو عظمة روايته وايراده ، وانما نعتوا رجاله بما يستحقون من أوصاف أو اعطوهم حقهم من المنزلة وبيان قيمة الشعر الذي قالوا ، وبه صاروا يتفاضلون ، أو أنهم جعلوا الشاعر بالرتبة التي وصل اليها ، والمكانة التي نالها ... أو سما اليها في معارج البيان .

كتب كثيرون في هؤلاء الشعراء ، وعينوا قيمتهم ، وكانت الاتجاهات في ذلك كثيرة ، ففاضلوا بين الشعراء ، وأوضحوا المزايا ، ورعوا أمرها من وجوه تلك المفاضلات (وجوه الصنعة) ومن المهم اننا لا نميل الى ما قالوا في كل شاردة وواردة وانما كانت الأوضاع تدعو لتناقل الكلمات الخالدة الناشئة عن حقيقة الحالة ، الجديرة بالأخذ ، اللائقة بالتخليد ، الداعية الى الالتفات ... أو أن علماءنا وأدباءنا تناقلوا ما هنالك ، ودونوا عن الأكابر الأفاضل . ذلك ما دعا أن يعرفوا شعراءهم بما قيل فيهم ، أو ذكر من نهج في أدبهم في كلمات خالدة ودرر ناصعة ناشئة عن حكمة وأدب .

وفي هذه الحالة لم تكن حاجتنا ان نسمع الى (اقوال الغربيين) ، أو (كلمات الأجانب) في هؤلاء الأدباء ، وان كنا لا نستغني ، وانما نحب ان نسمع كل ماجاءنا الا ان الجدير بالمكانة ان نسأل ارباب المعرفة منا ، وندوّن عن نفس الأدباء في الشعر ، أو بالتعبير الأولى حاجتنا ان ننظم ما عندنا ، ونسق ما قيل في شعرائنا لتظهر لنا الحالة من طريقها ، وتنجلي من ناحيتها .

والأدب العربي يقدره اهل الأدب منا بأن يوضحوا حالته ويبدوا كلامهم فيه ، أو أننا ندون ما قالوا ، فهم أرباب الأدب ، وحكماء الكلام ، وأحق بالمعرفة

والايضـاح ، ورجال البيان اولى ان يسـألوا عما علموا ، وعن الصواب فيما اوردوا ،وما قدروا في السـرد ولا يهمنا غيرهم الا في الدرجة الأخرى ، او الرتبة التالية ، والمنزلة المتـأخرة .

والعراق لم تهدأ الحركة الأدبيـة فيه وانما خلف ثروة غزيرة لاينضب معينها ، وترك مخلدات تعدُّ درةً في جبين العصور ، كانت غذاء الأقطار العربية وغيرها ، وليس فيها المعاد المكرر ، والتجدد فيها والاجادة في موضوعها من اجل خصائص الأدب المقبول تجلى ذلك في شعر شعراء أكابر ، في دواوين ومختارات تعدُّ من خير الإلهام لأدبنا التالي والحاضر ، والاستقاء من هـذا المعين والاتصال به مما يدعم الموهبة الفائقة في انكشافها ، وتحركها مباهج القطر ومناظره الخلابة وأوضاعه المثيرة للنشاط والتهيج أو الوحي الأدبي ، فيساعد على إبداء الأدب الغض ، وللأدب الماضي من التوجيه والبواعث والانتعاش ما يهيء ويمدُّ الأدب بالغذاء ، فيظهر بحلة بديعة ولون رائق .

ومثل هذا لايقف عند حدود معينة ، ولا حالات ثابتة ليبدو بأبهى ما يتحلى فيه ، واذا رجعنا الى الثروة الأدبية في النقد ، فاننا نكون قد استكملنا العدة ، وتسلحنا بأقوى سلاح وما ذلك الا لأن الأدب العربي زاخر في مادته فائض في موضوعه .

ولا شك أن (النقد الأدبي) عندنا في مختلف عصوره يدل على عقلية جبارة ، وفكر قويم وقدرة ، كما لا تهمل قيمة التوجيه الأدبي واتصاله بالموضوع اتصالاً عظيماً فهو من أجل ما يغذّي الأديب وفي هذا كله آثار ادبية وتاريخ أدبي وتاريخ نقد .

والمؤلفات وتاريخ تطورها ، يدلان على ظواهر لا نراها في تاريخ أدبي لأمة من الأمم ، أو قوم من الأقوام في تاريخ حركتها الفكرية بل إن العرب في (تاريخ الحركة الأدبيـة) كان نشاطهم جليلاً ، وعملهم فائقاً ، وتدويناتهم كبيرة ، كانوا أسبق الأمم في فصل الآداب عن العـلوم ، كان ذلك في وقتٍ مبكر جداً في حياة الأمة الثقافية ، ولم تنتبه اليه الأمم

الأخرى الا بعد تمكنها من الثقافة ورسوخها فيها ولما كانت هذه صفحات لا تخلو من فائدة في التبصير بقيمة الأدب معرفة بقيمة النقد الأدبي وتاريخه عندنا مقتبس من آثار أدبية جمة كان يوجه فيها النقد ، أقدمها الى القراء الأفاضل ، ولم استوعب مطالبها ، وانما اذكر ذلك توجيهاً للراغب وتدريباً للأخذ بما هنالك بسعة وافرة .

ومن بين هذه المؤلفات الخالدة :

١ — كتب الأدب :

وهذه بوجه عام تناولت ما قيل في هؤلاء الأدباء ، وتعيين صنفهم ، وتوضيح امرهم مثل كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وكتاب العمدة لابن رشيق الا أننا نراها غير جامعة ولا مرتبة سوى أنها تنقل بعض الأقوال ، وتقرر بعض المعروف من الحالات وهي مفيدة ، نافعة كثيراً الا أن ذلك غير مستوفى وانما هناك كلمات خالدة تستحق الذكر .

٢ — طبقات الشعراء :

وهذه ابدت عن كل شاعر ما عرف عنه ، وغالب هذه تحقق أوضاع الشاعر كلها ولا تخلو من بيان المزايا الا أنها لم تتأهب لوضع خاص بالشعر وتدوين مزاياه في النقد بعرضها عرضاً خاصاً ، ومع كل هذا تدعو للالتفات فهي كبيرة الأثر ، جليلة المعرفة وافرة القيمة ، جامعة المزايا .

ولا تنكر درجة هذه ، ولا تهمل ، فلها اكبر مكانة وربما اغنت عن غيرها ومثل هذه تتفاوت في البيان ، وتختلف في القيمة ، وتدعو للاستفادة والافادة ، وفيها الأدب الجم وغالب مزاياها العظيمة الأثر في الانتهاج الأدبي .

تناولت بيان أوصاف الشاعر ، وعرض شعره ، وفي الأولى توجيه ، وفي الأخرى ملامسة المادة ، والاتصال بالأديب باظهار العلاقة بشعره ، وبيان أدبه ، وربما كانت هذه الآثار نتائج الأدب وصفوته الخالصة ودرّه النضيد ...

٣ — مصادر النقد الادبي في الشعر :

وهذه الغاية المقصودة ، والأدب المطلوب والمادة الغزيرة من أديب كامل ببيان مزايا كل شاعر ، أو هي مفاضلةٌ مستمرةٌ ، ونظرةٌ صادقة ، ومزيةٌ لا يستهان بها ، ولا يهمل شأنها بل لا يترك أمرها وربما كان الترك معيباً والاهمال مزرياً من جراء أنّ ذلك صادرٌ من أهله ، ناجمٌ من طريقه ... أو أنّ الضرورة تدعو الى العناية الزائدة والالتفات الكبير .

جاءتنا خلاصة النقد ، وبُدئ إدراك المزايا ، وهي المفاضلة من وجوهها لا الذم لواحد وانما هناك طريق كل شاعر ، ونهج كل أديب بذكر ما امتاز به أو عرف عنه ينطقون بمزاياهم ، ويعرفون بمواهبهم ، ولكن من هو صاحب القول المسموع ، ذو الكلمة الصادقة الخالدة ، إذ يتعسر ذلك على غيرهم .

بيدي الآن (جملة كتب) في النقد الأدبي تعين المزايا ، وتحقق الاغراض الخاصة في النقد ، وتدعو الى الاهتمام وليس مقصودنا الجمع والاحاطة وانما يهمنا ان نتناول ترتيب الظهور ، ومراعاة التاريخ ، أو تطور الموضوع وبالتعبير الأولى نبين (تاريخ النقد) بما ظهر من آثار في العهد العباسي .

ولعل التوغل يضيع الهدف . وانما أقول (كتب النقد الأدبي) في الشعر منها ما وصل الينا من طريق الطباعة وجاء مبعثراً أو خاصاً بشاعر ، والاحاطة بما قيل فيه أو ظهر من مزايا . وهذه كثيرة في الموازنات بين شاعر وشاعر مثل (الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني) والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي والمهم الاطلاع على الشعراء في بيان مزايا كل شاعر . ومن أشهرها :

١) رسالة أبي حاتم السجستاني :

حاولت مؤلفات عديدة القيام بهذه المهمة ، والتصريح بهذه الحقيقة ورعاية ما هنالك

فكانت مدوناتهم وافرة المادة عظيمة الأثر جليلة القدر ... منها رسالة أبي حاتم السجستاني البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ - ٨٦٩ م وكان يعد من أكابر رجال العلم ، وله المكانة الفاضلة في الأدب سأله ابن دريد عن خمسة وعشرين أديباً شاعراً من الشعراء المجيدين من المحدثين فأجابه بكلمات خالدة تستحق الالتفات وربما كانت من أوائل ما دوّن في الموضوع ومن أجلّه .

وكان الأدباء قد أوسعوا شعر الجاهلية بحثاً ، وقربوه من افهام الراغبين ، وأوضحوا عنه الإيضاح كله وهنالك النقد ، وله وجوهه المعروفة وطرقه فاتجه السؤال الى المعرفة الجديدة في المحدثين ، فكان الجواب محكماً وافر المادة على قلته وهو غني بالمعرفة على ايجاز في لفظه .

وهذه النبذة عثرت عليها في مجموعة نفيسة عندي بخط المرحوم الاستاذ مصطفى وفي آل جميل مؤرخة في ٢٠ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ وهي في اللغة والأدب منقولة من (أمالي ابن دريد) خلدت صفحة ربما كانت من أقدم ما خلد في شعر المحدثين من صفحات . ولعل المرء يترقب ما أجاب به أبو حاتم عن كل شاعر .

ولا اكرر السؤال والجواب ، أو قال وقلت . وانما اذكر كل شاعر وما قيل فيه رأساً ليكون أوفر في المعرفة واننا في حاجة اليوم الى ذلك التعريف ، وبيان مزايا كل شاعر من شعرائنا وهذا ذكر الشعراء وما نعتهم به .

١ — أبو نواس : إن جد أحسن وإن هزل أطرف ، وإن وصف بالغ . يلقي الكلام على عواهنه ولا يبالي من حيث أخذه .

٢ — بشار : نظار غواص . مطيل مجيد يصف ما لم ير وكأنه قد رآه على أنّ في شعره خللاً كثيراً .

٣ — مروان : شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه . معجب لا يرى أن أحداً يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس لشعره صنعة .

٤ — مسلم : خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزبرجد تارة وتصلد أخرى .

٥ — أبو العتاهية : غناء جمٌ ، واقتدارٌ سهلٌ ، وشعرٌ كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقوت والزبرجد .

٦ — ابن الأحنف : يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحياناً والحمأة أحياناً على أن كدره اكثر من صفوه .

٧ — سلم الخاسر : مقلٌ مداح ، شعره ديباجٌ وعهنٌ ، يموه الرديء حتى يشبه بالجيد .

٨ — العتابي : عالم بأشعار العرب ، محتذ على مثالهم أحياناً وربما مال الى تعقد الكلام على أنه ينال مرامه من كلتا الجهتين .

٩ — الخريمي : صنعته سهلة . لا يكابر طبعه ولا يكد فكره ، يسوق ما انقاد له عفواً .

١٠ — أشجع : يعذب ويعفى ، ويحسن ويسيء . فصوله مختلفة ان شئت قلت مطبوع وان شئت قلت متكلف .

١١ — أبو الشيص : جدٌ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي تقضت ففيها المستعذب والمستبشع .

١٢ — علي بن جبلة : بحاث عن الكلام الفخم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ، ولا يحل منزلة النظراء .

١٣ — دعبل : شديد الأسر ، محكم الصنعة قليل الطلاوة ، مفحش الهجاء غير مقنع المديح .

١٤ — أبو تمام : سيل كثير الغثاء ، غزير الغمار ، جم النطاف فاذا صفا فهو الزلال بالسلاف .

١٥ — الحارثي : ظريف مقل ، منحل الألفاظ متعقد المعاني .

١٦ — ابو سعيد قوصرة : ورق ناضر وعود خوّارٌ ، ان حفظ لم ينفع وان ضيع لم يضر .

١٧ — ابن بشير : عذب الكلام سهله اذا اراد الشيء قدر عليه ، وان اشتدت كلفته في مرامه .

١٨ — ابن أبي عيينة : أعجبه اقتداره فتجاوز مقداره على أنه اذا نفر أفلق واذا كوى انضج .

١٩ — عبد الصمد بن المعذل : خراج ولاّج يتعسف تارةً ، ويهتدي اخرى ، ان سلك سبل العرب الأول اربَ وان مال الى طريق المولدين شاكه .

٢٠ — علي بن الجهم : كلام رصين ومسلك وعر عقله غلب شعره من طبعه .

٢١ — بكر بن النطاح : تشبه بالأعراب فأفرط ، وتجاوز حد المولدين فانتهب ، فهو الساقط بين الفريقين .

٢٢ — خالد بن النجار : سيء الكلام ، رخو النظام ان طال بلد وان قصر اجتهد .

٢٣ — أبو دلامة : جد وهزل ، ومجتنى مرغوب عنه اذا قصد مراماً تناوله عفواً وسميناً .

٢٤ — أبو الشمقمق : هجاؤه لذاع ، ومديحه بلا ماء ، اكثره لا نفع فيه .

٢٥ — فلان : كلام مؤلف ، تلفظه اسماع الجهال ، وتلفظه آذان العلماء .

قال ابن دريد :

« وذهب عني أن أسأله عن الأعزين المطبوعين : السيد ، والنميري » قال الناقل : قد وقع لي وصفهما في حكايتين (وهنا رأينا تعقيب ارقام البحث والاستمرار فيه على الطريقة المارة) .

٢٦ — فاما النميري :

فذكر ابراهيم الموصلي قال : حضرت الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وعنده منصور

النميري ومسلم بن الوليد ينشدانه فالتفت اليّ وقال : يا أبا اسحق احكم أيهما اشعر فقلت إنه قلّ من حكم بين شاعرين فسلم منهما ، ولكن إن أحب الأمير تكلفت وصف شعرهما فقال صفه فقلت : اما النميري فان شعره حسن المبنى ، قريب المعنى ، سهل كلامه ، صعب مرامه سليم المتون ، كثير العيون .

واما مسلم فانه خرّج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين .

فقال الفضل : وصفت والله فاحسنت ، وأوتيت الحكم فحكمت . النميري أشعرهما .

٢٧ — واما الحكاية الأخرى . (في السيد الحميري) :

فللجاحظ في فصل من فصول كتبه . ذكر فيها :

(السيد الحميري) و (أبان بن عبد الحميد) ، و (أبا العتاهية) و (بشار) ، و (أبا نواس) فقال :

اما السيد الحميري فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وابعدهم من التكليف ، واجدر أن ينقل جميع احاديث الناس شعراً سهلاً بلا تعقيد ولا استكراه .

وأما أبانُ بنُ عبد الحميد فلم يكن في زمانه أطبع ولا أسلس كلاماً ولا أسهل مخارج وكان يقول على الثاء والذال والغين والظاء مائة قصيدة .

واما أبو العتاهية فأحد المطبوعين ومن كاد كلامه يكون شعراً على أنّ غزله ضعيفٌ مشاكهٌ لطبع النساء .

واما بشار بن برد وأبو نواس فمعناهما واحد والعدة اثنان بشار حلّ من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا إذن .

وحدّث أبو الحسن أحمد بن سعيد قال حدثني أبو القاسم التنوخي الحاكم بكور الأهواز والبصرة قال : لقيت أبا الغوث ابن البحتري في ناحية الجزيرة فحادثته حديث أبيه

وأخبرني أنه سأل أباه لما حضرته الوفاة فقال يا أبه : من أشعر الناس قال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين . فقال : عن المحدثين . فقال : يا بني لو قسم إحسان أبي نواس على جميع الناس لوسعهم وأن لأشجع السلمي لإحساناً وما علم الشعر أكل الخبز بالشعر إلا أبو تمام فقلت له : أنت أشعر أو أبو تمام ؟ قال : سألت عما لا يزال يسأل عنه جيّد أبي تمام خيرٌ من جيّدي ورديئي خيرٌ من رديئه » اهـ .

وهذا وصفٌ الشعراء ، ونقدٌ لهم ، وبيان للجهات المقبولة أو المدخولة وفي ذلك توجيه لمكانة الشعر المقبول ، والمراد الجيد والرديء منه ، وان يتوقى المرء منه من وجوهه المذكورة .

نقل ابن دريد ذلك عن أبي حاتم السجستاني ، واضيف اليه بعض الكلمات في شعر النميري ، وشعر السيد الحميري وما يتصل بها أو الملاقة بينها وبين آخرين فتعيّنت العلاقة وتوضحت الحالة فكان لهذا البيان قيمته ولتلك الإفادة مكانتها المهمة النافعة .

ولعل في ذكر هؤلاء ما يبصّر بالوضع ويدعو للالتفات الى ما عندهم من شعر وجاءت هذه الأوصاف تراجم جامعة في الشعر والشعراء بل خير أوصاف لأولئك العظماء . والعرب لم يهملوا أمر الشعر قديمه وحديثه وتداولوا ما قيل فيهم ونقلوا ما نقلوا عنهم إلا ان الصنعة باديةٌ في المتأخر وفاق فيها كثيرون وربما كسبوا سجية ثانية مسترشدين بمن سبق ، فلا يهمل الأول لقدمه أو يترك المتأخر لما تطبع عليه .

وهنا يتجلى (النقد الأدبي) بارز حالاته .

جاءت هذه الرسالة من خير ما كتب بنظرة سريعة توفر للأديب وتقرب ما أراد وتدعو للالتفات من الوجوه المقبولة ، والأوضاع المعروفة والحالات المشهودة ، فهي خير وثيقة بل من أجل الوثائق في موضوعها . جاءت رسائل أخرى بعدها ، وان كانت أوفر وأغزر مادةً إلا أنها بلا ريب تعد من اقدم ما كتب في النقد الأدبي للمعاصرين ، بل تعد

كأنها صفحة رسام ثابتة لا تمحو جدتها الأيام ، بل كلما مضى عليها الزمن ظهرت مكانتها أكبر .

٢) البيان والتبيين :

النقد الأدبي قديم في اللغة العربية وفي آدابها ، ويرجع الى العهود الجاهلية ويتوالى ، وما المعلقات واختيارها من بين القصائد ، إلا في أنها فاقت القصائد الأخرى من الشعر الجاهلي ، وحوليات زهير ضرب بها المثل في الانتقاء الزائد ، والعناية الكبيرة في عرض الشعر حذر أن ينقد ، أو أن لا ينال الغرض ، والكثير من الشعر الجيد تداولته الألسن ودام على مر الزمن .

ومثل ذلك النثر ومنه ما سار مثلاً ، أو كان كلمة حكيمة لا تبلي جدتها الأيام مدى العصور ، وما ذلك إلا لموافقته لمقتضى الحال بأكمل وجه ، فشاع المختار ، وخذل سواه . والعقل السليم ، والذوق الرقيق لهما الحكم الصادق في تقدير قيمة الأدب وموافقته لمقتضى الحال .

وهذا من حق من زاول الأدب ، وتوغل فيه بالممارسة مع سلامة الذوق للوصول الى صحة الحكم بنفوذ نظر ، وموهبة صالحة . وهذا يوضحه قول الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ، فلم أظفر بما اردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك » اهـ [1] .

وقال : المطبوعون على الشعر من المولدين بشار بن برد والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسلماً الخاسر وخلف بن

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢ .

٤) كتاب نقد الشعر :

تأليف أبي جعفر قدامة بن جعفر بن قدامة المتوفى سنة ٣٢٠ هـ — ٩٣٢ م ويعدّ من المؤلفات المعتبرة ، توسّع في الموضوع وتبرز فيه ، فكان عمدةً ولم يهمل المؤلفات قبله ، فقد وحّد ما هنالك وحكّم رأيه في المطالب ، وابدى قدرةً فولّد احتكاكاً بآراء عديدة ، ومن جاء بعده من العلماء والأدباء لم يخلوا من علاقة به ، أو اتصال بموضوعه سمة ونقداً إتفاقاً أو اختلافاً . طبع لأول مرة في الجوائب في استنبول سنة ١٣٠٢ هـ ثم تكررت طبعاته ، منها طبعة مكتبة الخانجي بمصر سنة١٩٤٨ م.

وقد تناوله كثير من العلماء بالبحث منهم :

(١) ابن بشر الآمدي في كتابه (تبيين غلط قدامة) واهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه سنة ٣٦٥ هـ .

(٢) ابن رشيق القيرواني .

(٣) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الموصلي الأصل والبغدادي المولد [1] ولد سنة ٥٥٧ هـ — ١١٦١ م وتوفي سنة ٦٢٩ هـ — ١٢٣١ م في كتابه (تكملة الصناعة في شرح نقد قدامة) وانتصر للمؤلف في كتابه (كشف الظلامة عن قدامة) .

ومن مؤلفاته في موضوع بحثنا :

آ — نقد النثر :

عالج فيه مباحث مهمة في النثر الأدبي وما يطرأ عليه من نقد ، ذكر أنه لم يسبق المتقدّمين ولكنه شرح ما اجملوه ، واختصر ما اطالوه ، وأوضح ما اوجزوه وجمع ما فرقوه ، وأورد نماذج من النثر ، وأبدى نعوت النثر وبعض عيوبه ... ونشر سنة ١٩٣٣ م

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٠ ـ ٢٣ .

بتحقيق الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

ب — كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام .

٥) اخبار أبي تمام :

إن ظهور الأساتذة في الأدب كان قد سبب النقد المهم ، رأو القدرة الأدبية ، وما لفت الأنظار اليها فأرادوا استغلال ذلك في التوجيه الحق فالوا الى النقد وهو يؤدي الى اختلاف الاتجاهات ، وتحول الأنظار ... أو أن هؤلاء يريدون ان يظهروا ، فينالوا المكانة بسبب هذه المقارعة ، وقل ان ترى من يعتقد صحة في نقده ولا يلتفت في هذه الحالة الا الى ماكان مشمولاً بالنظر العائب ، والدعوة الحق والتوجيه الصحيح وصدق النظر ، فالاصلاح طريقه معروف ، والعمل لرفع مستوى الأدب ، وتقدير مكانته ، والاتصال بأمره اتصالاً وثيقاً ان ينفذ المرء الى حقيقته ويكتنه كنهه ...

ولم يكن هذا مقصوراً على الوجهة الأدبية ، وانما يتناول التاريخ وسائر العلوم الا ان كلامنا مقصور على الآداب ونقدها ...

واجل نقد رأيناه كان في كتب كثيرة ومهمة جداً ومنها : (كتاب أخبار أبي تمام) وأدبه ، ومزايا الأدب قبله ومكانته والا فلا تظهر مزايا الأديب الا بالمقابلة ، جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ — ٩٣٦ م فأوضح عن الأدباء النقاد للأدب القديم ، أو الحديث . وقد مرّ بنا من النقد ما يدعو الالتفات وكل كلمة منه تؤدي الى المعرفة الكاملة في وجود الأدب من الاتصال بالأدباء والشعراء في تصوير قيمة شعره وأدبه وفصول بيانه ، وتوجيهاته ... وان الاستاذ الصولي وجه نقده على من يترقب الموضوع ويحاول سرقته ، أو أن يتعين له ، فيحاول ان يزاحم فيه ، وينقد نقداً مراً على من جهل من المعاصرين أدب عصرهم وما عندهم من أدب جم أو الالتفات الى وضعهم بل اهمال

ما هنالك والاكتفاء بالقديم وربما كان ما كتبه الصولي إلفات نظر الى ادبه ...

رأينا لأبي تمام خصوماً كما لغيره وانصاراً ذائبين عنه وربما كانوا مغالين والأمر بين الاثنين بين من يحط من رتبته ، وبين من يرفعهـا الى درجة لا يستحقها ولا يتجاوز حدودها ، وهي معرفة قدر الرجال الأدباء وتعيين منازلهم ، وتبيين أوضاعهم الحقة ... والصولي كتب كتابة المحب لأبي تمام ، المعجب بشعره ، كان سمع تنقيصاً له من أناس مغرضين وأصحاب افتئات عليه ، ومترمتين بل ثالبين مهاجين لا همّ لهم الا الظهور ، ولا وجه الا التطلع لابداء القدرة جاء كتابه ملخصاً ما كتب من أخبار أبي تمام وربما كان الزبدة وجاء على الضد من كتاب الموازنة للآمدي ، وللعلماء آراء في الأدباء في التقديم والتأخير والتفضيل والذم وكل هذا يعين صفحات أو نظرات جليلة في الأدب ربما كانت الفريدة من نوعهـا ، والمرتجلة في حينها وفي جمعها من مجالس كان يطرى فيها الأدباء ويرجح بعضهم على بعض ... وربما كان بين هؤلاء من يجهل حالة الأدب ، وانما هو مغامر أو أنه مخالف لما عند الآخرين ولا تزال الآراء في المحدثين من الشعراء . وبينهم الذام والمادح ، والمرجح والمفضل ، وكل يحكي طبعه ويعبر عن شعوره في الأديب ولا يخلو امرؤ من نقص وربما كان النقد صواباً ، أو أنه غير صواب ... والغريب أن نرى الأديب المسلم له بالفضل يناله من بعضهم أشد التنديد وأقسى النقد بأمل الظهور بالشذوذ ، والبروز في الشتم والسب ...

ومهمة الناقد أن يتدبر الآراء ، ويوجه حقيقة الحال ، فلا يضيع فكره ولا يدع منقبة أو مثلبة بحق إلا ذكرها ، ومن ثم يصدر فكرته ، ويلقي دلوه في الدلاء وهذا ما نراه في الأستاذ الصولي وهو نفسه وصف أرباب الدعاوى قال : وهم مع ذلك يدعون كل شيء ولا يقولون في شيء لا ندري ولا نعلم فكانوا كما قال الشاعر :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيئا

فهو لا يزداد رُشداً إنما يزدادُ غيّا [1]

ومهمتنا أن نعرف ما قيل في قدمائنا ، والمحدثين وان نبني وجوه النقد صحيحها وسقيمها مع غض النظر عما داخل من أغراض أو كان مقبولاً في حينه وهو مدخول ... فنقطع في الصواب ونجزم في المتحامل فنبرز تحامله ونفرق بينهما ولا نقف عند ذلك مكتوفي الأيدي وانما نوجه الصحيح ونبدي ما عندنا ... والآراء في مختلف العصور منها ما يندثر ولتسقط قيمته عند محك الأنظار ، ولا يقوى على نقد لا سيما ما كان لايخلو من غرض وهوى ، أما الزبد فيذهب جفاء ويبقى الصواب الجدير بالأخذ أو الفكر المقبول الظاهر البين الظهور ... ومن ثم يراعى تكامل الفكرة ، ويعرف تطور الرأي وطريق الأخذ به ... وهكذا التفتت الأنظار الى شعره وأنه لا يخلو من الجيد والردي فقالوا له بما كان ، ولكنهم لم يختاروا بل نقدوا ، ومنهم من تعصب له ورفع من شعره وأدى الى ما أدى اليه أمره حتى جاء الأستاذ العدوي فكان حكماً مرضيّ الحكم مقبول المحل . والحق أن شعر كل واحد ناشيء من نزعته ، وحالته الروحية فلا ينكر أنه في حالاته لم يكن بمثابة واحدة ، بحيث يعد كله ممتازاً أو مختاراً بل القصيدة الواحدة لها (بيت القصيد) ومثل هذا موجود في شعر الشعراء جمعاء ... لاينقص من قدر الشاعر ولا يقلل من قيمته الأدبية بل إن ارتفاعه وعلوه في بعض شعره هو الذي يدعو القبول والاختيار وهكذا نعمل في شعر كل شاعر نال المكانة المرضية عند الأدباء لتكون نموذج من يؤهب نفسه الشعر أو ينبغي أن يقرأ المستحسن منه ... فربما اشتهر الشاعر بقصيدة ولو أنه خذل في أخرى أو قصائد عديدة أو أنه لم تكن له من عيون الشعر سواها ...

وأبو تمام له (عيون الشعر) ويعد من مشاهير الأدب العربي وأكابر نوابغه في الشعر ،

(١) نشره الأساتذة خليل محمود ومحمد عزام ونظير الاسلام الهندي مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م ص ١٠ .

شغل العلماء مدة في تحقيق نواحي أدبه ولا يزال وعيون شعره متداولة بين الأدباء ، ويكرر ذكرها ...

ولعل القول المنقول : « هما حكيمان والشاعر البحتري » من أقدم النقد على شعره ، وإنه مملوء حكمة ، بل لايزال شعره معروفاً متداولاً ... بل تعد حكمته أحياناً من أسمى ما يزينه وكذلك المتنبي فقد بلغت حكمته في شعره غاية .

ومما تداول من شعره باستظهار قصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

لا تزال حديث الأدباء ، ومحل النقاش والنقد ...

وثروتنا الأدبية لم تخل في وقت من هذا النقد بل ان النقد يجلو عن ماهيتها ، فيقطع بصحة بعضها وبطلان الأخرى ... الا انها على كل حال لا تزال في عظمتها وغزارتها وجلالة قدرها . وهنا نقول إن عمل الأمة في مختلف عصورها إذا كان الأخذ بالمختار منها نقداً نوعاً ، فلا ريب ان هذا نقد عملي في اختيار الأجود منه ... فلا شك أن النقد الأدبي يستند الى هذا الأصل فيوضح وجوه الاختيار وبيان ماهية غير المختار فيكون توجيهاً للأصلح المرغوب فيه من خيار الشعر ، فالنقد ميزان الصحة في هذا الاختيار ، والموضوع المجاميع الأدبية وبيان مكانتها من ذوق المختار ونقدها من جراء الإخلال .

اختار أبو تمام عيون الشعر القدماء فكان لاختياره مكانته ويفترق عن مجموعة المفضليات للضبي وأمثاله ممن يريد أن يرسخ الغريب في ذهن القارئ وهذا اختار الأصلح فعامل الشعراء قبله بنقد سوى ما اختار أو انتقى فرجح الأولى في نظره والأحق بالتقديم فنالت مجموعته المكانة فان اختياره مصروف للجيد من الشعر وتمييز المعتبر منه عن غيره في (ديوان حماسته) فكان نقده المجاميع الأخرى عملياً وفي دار الكتب المصرية شروح

كثيرة لديوان الحماسة [1] منها شرح الامام أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ — ١٠٣٠ م وشرح الامام أبي زكريا يحي الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المولود سنة ٤٢١ هـ — ١٠٣٠ م والمتوفى في جمادى الأولى سنة ٥٠٢ هـ — ١١٠٩ م .

٦) أخبار البحتري :

تأليف الصولي أيضاً حققه وعلق عليه الدكتور صالح الأشتر وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٨ م .

كان الصولي أديباً حسن العلم بالأدب وأخبار الأدباء والشعراء وكان شاعراً عالماً بالشعر مهتماً به اكبر الاهتمام وكتب الأدب مملوءة برواياته وأخباره عنهم وقد ألف أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد الحميري كما كان نقاداً عالماً بالنقد الأدبي وفي (كتاب أخبار أبي تمام) أخبار البحتري عالج موضوع تفضيل أبي تمام وتفضيل البحتري وذكر عيوب البحتري في الآداب الى غير ذلك من المباحث [2] ومن أهمها ما جاء في النقد الأدبي وسار فيه سيرة كتاب أخبار أبي تمام وينقل عن البحتري في ترجيحه أبا نواس على مسلم ولما اعترضوا عليه بأن ثعلب لا يوافقه قال : « ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله . وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه » .

واشتهر البحتري بسينيته التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

ونالت استحسان الكثير من الأدباء منهم أمير الشعراء أحمد شوقي وقد عارضها بقصيدته التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٢) اخبار البحتري للصولي .

كما عارضها الشاعر المعروف حافظ ابراهيم بقصيدة مطلعها :

أوشك الديك ان يصيح ونفسي بين هم وبين ظن وهمس

٧) كتاب الاغاني :

الآداب العربية من اجلّ الآداب وامكنها ولا يضارعها في ايامها أدب أمة ، فهو متصل من جاهليته الى اسلامه ، فوقته الحاضر ، ماتت آداب امم كثيرة ، ثم عادت الحياة بوجه آخر وشكل جديد ، وما ذلك إلا لأن الأمم المتحضرة الغربية لم تنهض بأدبها إلا في عصور متأخرة واكتسبت من التجدد المتوالي ما انساها أو أضاع أدبها القديم ... والأمة العربية لا تعرف إلا ادباً واحداً لا يجارى في ميدان لتدوين منظومه ومنثوره في مختلف العصور فظهرت مجاميع مختارة نالت مكانة .

وهذه من اجلّها (كتاب الأغاني) تأليف أبي الفرج علي بن الحسين الكاتب الاصبهاني المولود سنة ٢٨٤ هـ — ٨٩٧ م والمتوفى ببغداد في ١٤ ذي الحجة سنة ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م ، وهو موضوع بحثنا ويستحق التدقيق من بين آثارنا الأدبية وأوضاعنا المشهودة وحالاتنا التي تستدعي الالتفات في آدابها وتدقيق عصر المؤلف من بين العصور الأدبية ؛ وكتاب الأغاني يحتاج الى تمحيص واهتمام من وجوهه المتنوعة وهو يحقق تاريخ الأدب الى ايامه ويعرف من بينها موقعه الممتاز وما اكتسب من نجاح .

والكتاب يضم بين دفتيه نصوصاً أدبية نظماً ونثراً ينطوي الكثير منها على النقد الأدبي لأفاضل كثيرين ، فهو مرآة الأدب وهو صفحة كاشفة عما عندنا ، وخزانة طافحة بالمعلومات والنصوص وآراء الأكابر بضروبها المختارة ، ويرى بعضهم أن صاحب الأغاني أصدق من كتب واكبر من حقق ودقق ، وآخرون ظنوا أنه كذاب أشر ، مطعون فيه لا يصلح قوله للاستدلال ، وهذه الأقوال لا تصلح للتوفيق . والفجوة بينها بعيدة لا تسدُّها الأقوال الفارغة أو التعصب له أو عليه .

ليس لنا قدرة في التحقيق عن سرائر الناس ، ولكننا نعرضها على المحك العلمي تبعاً لميزان النقد فنتثبّت مما قال .

فاذا كان المؤلف قد تمكّن من اسناد الأقوال فالإشكال في هذا الإسناد ، ادباء أدّوا الوصف وصح ما نقل عنهم . وهل كانوا صادقين فيما قالوا ؟ أو أن ذلك دافعاً ساق اليه ، فهذا محل نظر :

١ — التنميق الأدبي والتزويق الكلامي .

٢ — قصد الوقيعة في الأمير أو الخليفة أو الوزير .

٣ — وقد لا يعرف القصد إلا أن الناقل لم يكن من أهل التحمل للشهادة .

٤ — الموضوع الأدبي لا يراد به إلا التزويق والصنعة الأدبية ، وبذلك تتضاءل قيمته ويفقد مزاياه التاريخية وهو الوثوق من الصحة وبذا يفرّق بينه وبين أرباب التاريخ .

٥ — الاعجاب بالصنعة .

كل هذه وامثالها تدعو الى أنّ هذا الموضوع محل شبهة ، وهؤلاء ليسوا من اهل التحمل ، ولا يعوّل على امثالهم ليكون النقل بثقة وطمأنينة . وجلّ أملنا أن يكون الخبر عن يقصه بلا تزويق ولا تلفيق أو أن ينقل على حقيقته وهذا تابع لأهلية المنقول عنه في اهلية اداء الشهادة .

وقد طبع الكتاب مرات عديدة في بولاق مطبعة كستلي وفي غيرها ومن اجلّ طبعة دار الكتب المصرية ولم يتم بعد وهو متداول وفائدته للنقد الأدبي كبيرة فانه يصف أدباء كثيرين في النظم والنثر بما يميزهم عن غيرهم وهذا نقد ووصف معاً يصلح أن يكون منهاجاً لكل اديب وشرعة لكل كاتب وقد ترجم صاحب الأغاني جملة اساتذة اشهرهم :

١ — الأستاذ شفيق جبري .

٢ — الدكتور محمد احمد خلف الله .

٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه [١] :

الشعر لا يخلو من جيد ، وعال ، ودون وهذه الدرجات يعلمها الاكابر ، ويفهمها الأفاضل نقاد الأدب ، العارفون بسالمه ومعيبه ويخطأ من يظن الصواب في شعر كل شاعر معروف ، والجلال في عظمة كل شعر ، والمرء يظهر أحياناً ، وينحط أحياناً أخرى ، وقد يعرف الشاعر بقصيدة ، أو ربما كان بيت منها يعد (بيت القصيد) الا أن القدرة تظهر في القصيدة ، وتكبر مكانة قائلها فيعلو شأنه . فهي مختار شعره ، وصفوة ادبه تدل على علو المنزلة فترفع شأنه ، ولعل بعض الشعراء لم ترفعه الا قصيدة تغطي باقي شعره ، أو لايلتفت الا الى هذا المختار .

والنقد الأدبي يتوجه الى المشاهير في الغالب ، ويدرك الضعف في شعرهم الرديء ، أو المتوسط فتظهر معايبهم ومن ثم يراعى نقد شعرهم وما ارتكبوه من خلل في اللفظ والمعنى أوالاسلوب والمفهوم ، فلا يبخس الشاعر في النفيس ، ولا يغمط في الجيد ولا يلهج بذكره في كل شعر ... كما لا يترك أمره في الدون من الشعر فيعطى حقه والمكانة التي يستحقها . وكتب النقد الأدبي جاءتنا بثروة عظيمة من وجوه النقد العام نرى مؤلفات البلاغة تراعي الجيد وأوصافه .

اتبع العرب طريقة نقد الشعر والغرض منه بيان القدرة ورواج المعرفة ومراعاة القانون العام وما ينبغي ان يكون عليه ، ومن ثم يتوصل الى الغرض فيكون ذلك توجيهاً حقاً فهذا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المولود في جرجان سنة ٢٩٠ هـ ـ ٩٠٢ م والمتوفى سنة ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م كان من الواردين الى بغداد ، وفيها بدأ علمه وظهر أدبه وتجلت مواهبه باتصاله بأدبائها وعلمائها وكان يذرف الدموع على فراقها ، ويتشوق اليها تشوق المستهام . تناول شعر المتنبي بعد هذا الاتصال ، وكتب ما كتب وذكر الأدب

(١) طبع الطبعة الثالثة في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

ومراميه ومناحي اتصاله بالأدب القديم ، وبيّن أنه لا يعلم اديب من نقد ، ولا يهمل امره ومن الضروري بيان مكانته الأدبية كما هي باعتدال وقول صدق . وبعد أن ضرب الأمثلة . وبيّن نقد القدماء ، مال الى الشعر وتناول مطالب عديدة ، توصّل منها الى ادب المتنبي وأشهر خصائصه ثم عالج موضوع السرقات الشعرية وما آخذ العلماء به ودافع عنه فأبرز كتابه الخالد مقروناً بأدبه الجم ...

وهنا ألفت النظر الى الشعر الجاهلي وما فيه من مآخذ أو ما توجه من نقد لأكابر الشعراء ، وانه لم يسلم احد من نقد ، وبيّن أنّ التحلات في التوجيه . والذب عن الشعر الجاهلي واعتقاد العظمة في اهله مما لا يأتلف والحكم العادل ولا يلتئم والصواب . ويريد ان يقول : إنّ المتنبي لم يكن بدعاً من الشعراء بدعوى أنه لا يصح ان يهفو أو يغلط .

ومن المهم أنّ الأستاذ الجرجاني لم يستفد من البيئة العراقية في ادبها المعاصر له وحده وانما اطلع على الأدب العربي من وجوهه ووقف على آثاره ، فانه اعتذر عن المتنبي كما اعتذر أبو بكر الصولي عن أبي تمام ، وتعرّض للأدب كما تعرّض الصولي الى تاريخه ...

والملحوظ أنّ مماثلة المعنى أو مقاربته أو التعديل فيه لا يعدّ سرقة ، وانما الأديب يطالع ويكتسب معاني من كتب متفرقة وفي فنون ادب جليلة وهذه لا عبرة بها اذا لم يكسبها وضعاً اديباً فالداً مما نراه في قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيّبات الفاتك اللهج

فصقله تلميذه سلم الخاسر فقال :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسورُ

فغضب عليه بشار ، فارسل اليه جماعة يستشفعون له فقال له بشار : أفتأخذ معانيَ التي عنيت بها وتعبت في استنباطها فتكسوها الفاظاً أخفّ من الفاظي حتى يروى ما تقول ، ويذهب شعري لا أرضى عنك أبداً فما زال يتضرع اليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه .

ومثله قول قيس العامري (مجنون ليلى) كما جاء في كتاب أخبار البحتري للصولي :

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ وإن كان الأصل فيه قول الأعشى :

وكأس شربتُ على لذّة واخرى تداويت منها بها

فأخذه أبو نواس ، فوالله ما بلغه وظهر في لفظه تكلف فقال :

دع عنك لومي فإنّ اللومَ إغراء وداوني بالتي كانتْ هي الداء

والكلفة في قوله : « بالتي كانت هي الداء » فقال البحتري سارقاً للفظ ومقتضراً على الطبع :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الرُبى من بات بالماء يشرق [1]

والعرب نقدوا من يأخذ آراء غيره نقداً عنيفاً وندّدوا بمن تصدى لمثل ما تصدى له وبذلك ردعوا أرباب الزيغ ممن يتسمى أديباً أو عالماً . ولم يسلم حتى المتنبي في علو اسلوبه أن يكون هدفاً في الرماية ولم يبرز له حتى اخذ المعنى ولم يفرقوا بين السرقات المالية والأدبية .

وفي كتاب (الكشف عن مساوىء المتنبي [2]) للصاحب بن عباد المولود في ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ — ٩٣٦ م والمتوفى بالري في ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ — ٩٩٥ م . وفي كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى [3]) تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن أحمد العميدي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ — ١٠٣١ م ما يوضح العلاقة بهذه السرقات .

٩) الموازنة بين أبي تمام والبحتري :

تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي الأصل البصري المولد والمنشأ . توفي سنة

(١) اخبار البحتري للصولي ص ١٢٨ و ١٢٩ .
(٢) منه نسخة في خزانة الأزهر ج ٥ ص ٢١٨ .
(٣) طبع بالمطبعة المحمدية بالقاهرة .

٣٧٠ هـ — ٩٨٠ م وطبعته الثالثة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م وحقق اصوله وعلق حواشيه الأستاذ محمد يحيى عبد الحميد . تطرق في الأصل لشعر أبي تمام فبين سرقاته وما أخطأ فيه من المعاني ورجح البحتري عليه من وجوه ولم يخرج في هذا عن دائرة النقد في كتاب الموشح للمرزباني بل ربما كان يفضله المرزباني فيما تناوله من سعة مباحث ، إلا أنه فصل في كتبه الأخرى هذه المطالب كما أنه تجاوزها الى غيرها من نقد أدبي . ومن مؤلفاته :

١ — تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين .

٢ — شرح الحماسة لأبي تمام .

٣ — الفرق بين الخاص والمشترك من معاني الشعر .

٤ — إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا .

٥ — الرد على احمد بن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام .

٦ — كتاب في أن المشاعر لا تتفق خواطرها .

٧ — فعلت وأفعلت .

٨ — المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناياتهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم عنيت بنشره مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ بتصحيح وتعليق الدكتور كرنكو مع معجم الشعراء للمرزباني .

٩ — معاني شعر البحتري .

١٠) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء :

في العصر الرابع الهجري توضح أمر الأدب العربي ، واتجه اتجاهات عديدة وجديدة ظهرت في الشعر ومحاسنه ، وعيوبه وتجلت اكثر في تاريخ الأدب ونقده ... جاء الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المولود ببغداد في شهر جمادى الآخرة

سنة ٢٩٧ هـ — ٩١٠ م والمتوفى بها في ٢ شوال سنة ٣٨٤ هـ — ٩٩٤ م . فذكر ما انكر على الشعر وتناوله الأدباء في موضوع المحاسن والمساوي مما يجب ان تعرف للتجنب عنها بل إن الشعراء توقّوا من أن يركبوا مركب ما مضى عليه الشعر من الضرورات أوالأخطاء وحاولوا قدر طاقتهم وجهدهم أن لا يكون في شعرهم مما يستنكر أو يستكره وكان عملهم مبدأ تأسيس قواعد البلاغة ...

والمرزباني لم يكن مبدعاً أو موجداً لهذه المآخذ وإنما جمع ونسق ما قاله العلماء ولم يهمل رأيه وضمنها كتابه الموشح [1] ولعله هذا أول كتاب علمي في (نقد الشعر) . تناول ما يتعلق باللفظ والمعنى ، وهذا جاء متأخراً في أمر النقد ، والسناد ، والإبطاء والإقواء ، والإكفاء والتضمين ، والكسر ، والإمالة ، والتناقض ، واختلاف اللفظ وهلهلة النسج وسائر ماعيب على الشعراء من نواح كثيرة في الشعر القديم والشعر المحدث وقد أطنب المؤلف في بيانها . وأما العيوب النفسية ، أو عيوب الأجسام ، أو الأخلاق والطبائع والأنساب ، والديانات وغير ذلك من الخصال فهذه تتكون منها مباحث واسعة ، ولعلها من العيوب في أيامه ... فقد عالجها في كتابه (المفيد) وزوده بأخبار المقلين من الشعراء وخصائص شعرهم ومزاياه ...

وهناك أمور أخرى كانت موضوع النقد ، ومن أهمها :

١ — سرقات معاني الشعر لاسيما إذا كان قصر في السرقة وكان الأصل أكمل وعالجها في كتابه (محاسن الشعر وعيوبه وسرقاته) .

٢ — رديء الشعر والمضطرب منه .

٣ — توجيهات العيوب ، والتماس مخرج لها ، والرد على العائب والطعن فيه وحاولو أن لا ينسبوا عيباً لمتقدم .

(١) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

٤ — إقرار المؤلف هذه العيوب ، وبيان لزوم اجتنابها وتابعه شعراؤنا فكانوا بعيدين عما يوجب النقد من هذه النواحي ، فجاء شعرهم أجمل ، ولا يعذر المتأخر في هذه المساوىء لما نبّه عليها الا أن المؤلف لم يتعرض الى ان الشعر صار صناعة لا ملكة فطرية ..

ولم يقف المؤلف عند هذه الحدود وانما تجاوزها الى بيان شعر كل شاعر بذكر أحاسن شعره ، ثم يمضي الى ما يعدّ رديئاً ، أو معيباً منه ، وسرد أمثلة عملية وأوضاعاً لا تخلو من معرفة حقة ، وأدلة محسوسة . وكل هذه تعيّن الشعر ومنزلته ، تناولته الآراء فدخله النقد والتمحيص ، والتوجيه .

فنرى المؤلف تبسّط في الموضوع من اطرافه ، وجاءت كتبه وافية بالغرض مستوفية للمطلوب ، مستجمعة لما هنالك من نواح عديدة كاشفة عن ادب العرب في الجاهلية والاسلام فكانت ثروة لا يستهان بها وتحفة للاجيال القادمة .

والمهم أن نقول : إنه من أكابر اساتذة الأدب ، بل أن نظرة الى مؤلفاته الوافرة المزودة بالنصوص ، تعيّن مقدار أدبه ، وعظمة مجهوده في اعلاء شأن الأدب العربي ، ومن كتبه الأخرى :

١ — كتاب الشعر : ويتعلق بصناعة الشعر .

٢ — الموثق : في الشعراء من جاهليتهم إلى الدولة العباسية .

٣ — المستنير : في اخبار الشعراء المحدثين .

٤ — المعجم : في الشعراء وتف من اشعارهم . طبع في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ وذيّله كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان المعروف بابن الشعّار الموصلي وسمّاه (تحفة الشعراء) . فرغ منه في شعبان سنة ٦٣١ هـ [1] .

وقيمة هذا النقد ظاهرة للعيان ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مؤلفاته ومؤلفات

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٢٥ و ٢٦ المطبوع سنة ١٩٥٢ م ببغداد .

العلماء التاليين ليعلم ما زادوا من مادة .

١١) نقد الشعر :

تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي البغدادي المتوفى سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م .

١٢) قراضة الذهب في نقد اشعار العرب :

للنقد الأدبي وجود التفات من الكتّاب الأفاضل ساروا عليه نحو مناهيج ، وقد سبق ان ذكرت بعضها . ومن أهم ما رأيت من كتب النقد الأدبي كتاب (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب) للشيخ أبي علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ — ١٠٦٤ م .

إن تحقيق النهج الأدبي يعيّن وجود الالتفات التي سار عليها الأدباء قبله أراد أن يتمّها بأخرى عرضت له فحاول أن يزيّن بها غيره ويعدّل في خطته ، ويقرر أمراً جديداً جديراً بالرعاية ، فصار يعتقد أن لا مجال وراء ما هنالك ولا سبيل للخروج على ما ذكر من هذه الضروب والأنواع ، فيأتي آخر وهكذا حتى تكاملت علوم البلاغة أو ظهر علم المعاني كما هو الشأن في علم البيان أو الصناعات الأدبية لفظيها ومعنويها بل قد نرى رسائل في موضوع النقد خاصة ، وفيها نواح تستحق العناية من ضروبها المنوعة المديدة .

هؤلاء الأفاضل امثال (ابن رشيق) تعاونوا في مختلف الاقطار الاسلامية والعربية وعززوا تكامل الفن بأمل محاولة المعرفة ، وتطلب الزيادة والاتقان من طريقه فجاءت مدوناتهم متلازمة وفي الذروة مع ترقب الاحوال ... ولا سبب الاحب الأدب والتوغل فيه وادراك نواحيه وبيانها في (كتب النقد) ، وهي وافرة المادة ...

يعدّ هذا الكتاب ممتازاً من بينها وإن لم يبخس حق غيره في الوجهات الأخرى والسبل المتبعة وأول من تناوله بالبحث والتحقيق (المرقات الشعرية) اتخذ فيها أبياتاً جمع النقد فيها وهي :

ألم ترهم كيف استقلّوا به ضحىً ... الى كنفٍ من رحمة الله واسع

إمام خميس ماج في البر بحره ... يسير كمتن اللجة المتدافع

اذا ضربت فيه الطبول تتابعت ... به عذبٌ يحكي ارتعاد الأصابع

تجاوب نوح بات يندب شجوه ... وأيدي ثكالى فوجئت بالفواجع (١)

قابل بين الشعراء مقابلة خبير مطلع ؛ وقرّب بين المعاني تقريباً بديعاً وعيّن أن التصرف في المعنى المعروف المألوف لا يعد صاحبه سارقاً اذا بذل في العناية وأبدع في الأسلوب . قال :

« هذا التصرف لم يسم آخذه سارقاً . لأن المعنى يكون قليلاً فيحصر ويدعى صاحبه سارقاً مبتدعاً ، فاذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض ، تساوى فيه الشعراء إلا المجيد فان له فضله أو المقصر ، فان عليه درك تقصيره إلا أن يزيد فيه (شيئاً) زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه .

وقد ألف العلماء والنقّاد في سرقات الشعراء كتباً عدة وصنّفوا تصانيف كثيرة اختلفت فيها آراؤهم وتباعدت طرائقهم غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر ، والخارج من العادة وذلك في العبارات التي هي الألفاظ (٢) ... » اهـ

وكنا نود الإطلاع على ما هنالك من مصنفات في النقد الأدبي بل نريد الإحاطة أو الإلمام بها ، لنعلم مقدار عناية رجالنا بالأدب والاهتمام بشأنه فالحاجة تدعو الى المعرفة الكاملة إلا أن المؤلف لم يشأ إلا أن يتناول ضروب الأدب في اكابر الشعراء وما أثّر به الواحد على الآخر بالمعنى القريب أو البعيد ، فبين وجوه التقارب والتباعد . وكتابه كافٍ وافٍ لا يحتاج معه الى غيره ، ومما ذكره بتفصيل ومثّل له وجوه الاستعارة ، ومليح التشبيه

(١) قراضة الذهب ص ١٠ طبع في مطبعة النهضة بمصر من نشريات مكتبة الخانجي .

(٢) قراضة الذهب ص ١٤ .

والمطابقة، والتجنيس والمبالغة وفي هذه ذكر مآخذ الأدباء وسرقاتهم وقال: «إن الكلام من الكلام مأخوذ، وبه متعلق والحذق في الأخذ على ضروب، أنا ذاكر منها ما امكن وتيسر، إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء لا سيما وقد فرغت (من) كتاب العمدة عما يراد أو أكثر والمعاني التي يقال إنها اختراعات واخذها سرقات إنما هي المقاصد وترتيباتها والطرق اليها هي التي يسمى أخذها سرقة لا محالة [1] ...»

وكتابه العمدة من اجل كتب النقد وفي طليعتها.

ولم يكن المؤلف باحثاً ومدوناً لما جرى بجذافيره على وجه الإحاطة والشمول وانما شارك وقارع وعيّن المكانة وأبدى الرأي وحكم ... فهو الأديب المتخلص في أدبه الى الوجهة التي رمى اليها وكان عمله (نقداً) حقاً، لا تشوبه شائبة، ولا يدركه خللٌ، أو يناله التقصير والنقص. ولم يترك معاصريه فأوضح العلاقات وبصّر بالصلات الأدبيـة إلى أيامه ...

وقال: (بعد ذكر أمثلة عديدة)

«هذا وأشباهه مما انفرد به كل واحد من الشعراء وان كان ذلك قليلاً جداً لا يكاد يتناوله حاذق إلا أن يزيد فيه زيادة تحسنه أو تنقص من لفظه وتستوفي معناه فيكون أيضاً له فضيلة الايجاز، وكذلك تحامى الناس اشياء كثيرة من المعاني اخذت حقها من اللفظ، فلم (تبق) فيها فضلة تلتمس، والقرائح تتفاضل ألا ترى الى قول جميل في صفة امرأة فاجأها:

غدا لاعبٌ في الحي لم يدر أننا   غرٌ ولا أرضٌ لنـا بطريق
فلما انتحيناه اتّقاناً بكمّه   وأعلن مـن روعاتنا بشهيق

كيف وصف حقيقة الحال حتى صوّرها تصويراً مع حسن لفظ وجزالة (بيان) ومع

(١) قراضة الذهب ص ٢٩.

ذلك ليس ببالغ قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولتــه واتقتنا باليـد

على أن النابغة أقدم عصراً وأشبه بالفخامة من جميل [1] .

وهكذا مضى في البيان فأبدع ، قابل ووازن فأجاد وأحسن في المفاضلات الشعرية ، والمقارعات الأدبية لم يترك شاردة ولا واردة ليكشف عن مزايا الشعر لكل شاعر فيما رمى اليه ، وحاول ابداءه من نوع موضوعه الذي هدف اليه ، وهو حقيقة نقد في هذه المناضلة وتلك الموازنة ، والتعرض للصلة من زيادة ، أو نقص وربما تعرض لأمور عديدة جاءت موضحة لشعر الشعراء وعلاقاتهم الأدبيـة وتلاعب في التعبير وذكر حتى الســرقات المغتفرة . وقال :

والسرقة المغتفرة نظم المنثور ، كقول امرأة من أهل البصرة لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ؟ فقال بشار اما علمت ان بيض البزاة أثمن من سود الغربان قالت : أما ذلك فحسن في السمع فمن لك بأن (تحسن) شيئاً في العين كما حسن قولك في السمع ؟ وكان بشار يقول : ما أفحمني قط غير هذه المرأة . اخذ البحتري قول بشار فقال :

فبياض البازي أحسن لوناً ... إن تأملت من سواد الغراب [2]

ثم ختم رسالته بقوله في وصفها :

دونكها يا سيد الأحرار ... وواحد العصر بل الأعصار

رسالة بيّنة الاعتذار ... باحت بما تخفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار ... وفضل ذاك السر في الإظهار

(١) قراضة الذهب ص ٣٠ — ٣١ .

(٢) قراضة الذهب ص ٤٢ .

لطيفة المسلك في اختصار　　خفيفة الروح على الأفكار
كأنها من جودة العيار　　(قراضة من ذهب) الدينار
اليك جاءت لا إلى المهاري　　هل يعرف التبر سوى التجار [1]

والمؤلف جدير بالإجلال، حقيق بالثناء ولا اظن أن من عنده من وصف فائق ما يستطيع ان يزيد عليه، وفي كتابه هذا والحق يقال: عين مزايا الكلام، وقيمة الأدب، ودرجة العناية به، ومقدار الاستفادة من نتاج الشعر والنثر، وإن ذلك ثروة عظيمة، تحتاج الى رعاية وحماية، وطريق الافادة ان يأتي المرء بالجديد، ويقدم أنفع ما عنده وأرقى ممن تقدمه في الأدب ليكون مقبولاً، ولينال المكانة، ويؤدي المهمة المطلوبة في هذه الرسالة.

ومهما قيل فيها قليل بل أقل قليل، جمعت أدباً غزيراً، واذا وراء المرء عيناً ناظرة فلا يهمل ما قال، ولا يسلم من نقد، أو إكبار ... ولكل واحد نصيب من ادبه، وقيمة فيما كتب أو عرض. ومن ألّف فقد استهدف.

١٣) أعلام الكلام:

مهما تتكاثر الكتب الأدبية أو كتب النقد فانها تحتاج الى تجدد دائماً وان الأدباء قاموا بهذه المهمة خير قيام، ومن كتب النقد الخالدة (اعلام الكلام) لأبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠ هـ — ١٠٦٧ م نشره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسي في مجلة المقتبس [2] تحت عنوان (رسائل الانتقاد) على نسخة في خزانته وأخرى في خزانة الإسكوريال رقم ٥٢٦ من القسم العربي، وجاء في آخره تمت

(١) قراضة الذهب ص ٩١.

(٢) مجلة المقتبس ج ٦ ص ٣٠٠ و ٤٠٠ و ٤٢٥ لسنة ١٩١١ م.

المقامة المعروفة بمسائل الانتقاد وأعيد طبعه مستقلاً وفيه زيادات عن النسخة السابقة. جاء في مقدمته :

« هذه أحاديث ضمنتها مختلفة الأنواع، مؤتلفة الأسجاع عربيات المواسم، غريبات التراجم، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام، بديعات النظام، لها مقاصد ظراف، واسناد طراف، يروق الصغير معناها، والكبير مغزاها ... » كتبه على لسان أبي الريان الصلت بن السكن من سلامان احد النجارين الأعلام :

« قال في جملة احاديث : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم واستكشفته عن مذهبه فيهم، ومذاهب طبقته في قديمهم وحديثهم فقال [1] ... » اهـ.

ويعدّ هذا الكتاب متمماً لكتاب أبي حاتم السجستاني وعلى نمطه أو كان من انماطه وجاء مكملاً لمباحثه، وافياً بالأغراض المطلوبة، وفيه شرح أزيد، ويعدّ من أجلّ المصادر واعظمها، وربما كان متناً في النقد الأدبي بما بلغ اليه علم زمرة من الأدب فذكر جملة من الشعراء المشهورين في العصور الجاهلية والاسلامية والمولدين وأهمل الجاهيل، وأغفل شأنهم، ذاكر أبا الريان وهو شخص مستعار، أو رجل انتزعه من نفسه فكان مخاطبه أبو الريان يجيبه بما عرف ليتقدم عن كل شاعر ما عنده وما يعلمه عنه وكأنه أراد أن يعلم قيمة أثره وتأثيره، ودرجة علاقته بالوسط ليسمع ما يقال، ويتجرد عن التبعة لينظر في الأمر ويتحقق الحالة ... وصف جملة من شعراء الجاهلية وقال : « أما ابن حلزة اليشكري فسهل الحزون، قام خطيباً بالموزون، وفي العادة أن يسهل شرح الشعر بالنثر. وهذا أسهل السهل بالوعر، مثل قوله :

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(1) اعلام الكلام ص ١٤. طبعة النهضة بمصر سنة ١٩٢٦ وهو من نشريات مكتبة الخانجي.

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

فلو اجتمع كل خطيب سائر ، من أول وآخر ، يصفون سفراً نهضوا بالأسحار ، وعسكراً تنادى بالنهوض الى طلب الثار ، لما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ويقصروا عنه وسائر قصيدته على هذا السلك ، شكاية وطلاب نصفة وعتاب في عزّة (وأنفة) وهو من شعراء أوائل وأحد ألسنة هاتيك القبائل [1] » اه . ثم ذكر من أدركوا الجاهلية والاسلام كأبي ليلى الجعدي ، وهكذا مضى الى الشعراء الاسلاميين ، وذكر شعراء بني أمية ثم ذكر جملة من المولدين ومضى الى من تلاهم ...

وكان يقف عند كل شاعر ، فيقرر وضعه ، وما عرف به ، وأبدى أوصافه كلها ، وما خص به وبهذا يسهل البحث ، ويقرب من المقابلات . والنقد يركن الى مثل هذا بل يعد مادته وأصله ، فلا نعجل بالحكم ، وإنما نستطيع بذلك ان نتفذ الى غرض الشاعر ، والاستحسان أو الاستهجان تابعان للروية وحسن الدربة بأن نمعن النظر ، ونستخدم الفكر ، وإلا كان شأننا خالياً من النفاذ الى كنهه لمعرفة محاسنه ومساويه ، ومستقيمه وأعوجه وان نفطن لغوامضه ومتناقضه ، من جميع وجوهه ، ومناهجه وسرائره ، وإلا كان مع المستعجل الزلل والأمثلة تنبي عما قصدنا أو توضح ما ذكرنا ...

والشعر خاصة منه ما يملأ لفظه المسامع فنتوهم فيه ، ونغلط في معناه أو لا نلتفت الى حقيقة مفهومه ، كما أن بعض ما يتردد من معتاد ألفاظه ، وجليل العناية في مدلوله ، ولا يترتب على جزالة كلماته صحة ذلك الحكم فالمعنى الغاية المنشودة ، والألفاظ قوالب المعاني ، والموازنة بين الأمرين ، والمعرفة الحقة هي الأصل في الاثنين ، ولا يسلم اللفظ من نقد ، ولا يخلو المعنى من استهداف الغرض المطلوب .

وهكذا يتطرق الخلل الى وسائل البيان وآلاته ، وان كان نفوذ النظر يستدعي

(١) اعلام الكلام ص ١٧ .

الالتفات الى ذلك الغرض ، ويؤدي الى الانتباه الى الأصل وادراك روح الهدف ... وإلا كانت الدوافع للقبول أو الرد بل النقد الى أمر لا علاقة له بالموضوع كأن نستحسن القديم لمجرد قدمه ، ونجله لمطلق تقدمه في الزمن ومن هذا يتطرق الخلل ، ويتوجه النقد ويتسرب النقص وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ... ويرى للأوائل التقديما
إنّ ذاك القديم كان جديداً ... وسيغدو هذا الجديد قديما

وسنة عبادة الأوائل ماتت بظهور الاسلام ، والتقليد لهم هلك بهلاك تلك الآراء .
والمطلوب أن نجري على المنهاج الحق في جميع احكامنا من إبرام ونقض ، وذكر المؤلف نقداً وجهه على امرئ القيس مع اتساع الأقوال في فضله فيظن ان جواد شعره لا يكبو ، وحسام شعره لاينبو ، وهيهات من البشر الكمال ومن الآدميين الاستواء والاعتدال .
ونقد قوله في قصيدته المقدمة ، ومعلقته المفخمة :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجلي

قال : فما أغناه عن الاقرار بهسذا ، وما اشد غفلته عما أدركه من الوصمة به وعدّد ما هنالك مما ترتب ... وهكذا مضى الى قوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعاً ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

ومضى في نقده ، أو جره الى ذكر قوله :

سموت اليها بعد ما نام أهلها ... سموّ حباب الماء حالاً على حال
فقالت لحاك الله إنك فاضحي ... ألست ترى السمار والناس أحوالي
حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما إن من حديث ولاصال

وكان النقد في محله وهو واضح لكل أديب ، بل فاضح لذلك الشاعر الذي يعتقد أنه لاينتقد وهكذا استرسل المؤلف في النقد وأورد الأمثلة من شعره ، ولم يمرح في الخيال

والتبجيل ... ثم أشار الى قوله :

هيا دلياني من ثمانين قامة

وقد قرعه جرير بهذا فقال :

تدليت تزني من ثمانين قامة   وقصرت عن باع العلا والمكارم

ومضى في ذكر معايبه ، وانه لم يكن من تلك الصفوة والأسلوب لايمنع بقوته أن يتوجه عليه ما يتوجه فكان خير مثال أورد لما يجب أن يتحلى به الأديب بل توغل في هذا الشاعر خاصة . واستدرك عليه ما شاء أن يستدرك .

ثم قال المؤلف : وهذه العيوب نزرة بالنظر لما أفرد له من الفضائل الأدبية مما سبق أن قدمه ، أو أوضحه فاذا علا أسلوبه في أمور كثيرة فقد انحط في سلوكه ونهجه في أخرى .

وفضلاء الشعراء كثيرون جداً ولكل سقطات ربما تسوق الى بعضها الاحاطة والتدريب على (مناهج النقد) لا أن نحرص على التماس النقص في الفصحاء ، وانما يجب أن تكون الخطة في السلوك على قصد ، والا فليس الغرض التنديد بالأدباء دون ذكر المحاسن ، وبيان وجهات النقص .

ومثل لذلك بزهير بن أبي سلمى فقال : إنه على ما وصفناه به ، ووصفه غيرنا من العلو والرفعة في هذه الصنعة من مذهبيته وحكمه فيها ، إلا أنه قال :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب   تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

واذا كان خالف عقيدتنا ، فانه عارض العقل كذلك وان كان لا تثريب عليه من جراء ما كان عليه من جاهلية والرأي فائل والقول خبط عشواء . ومثله قوله :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فتجاوز حدود الحق والعدل . وكانت له مندوحة عن هذا ولم يخل بما كان قد سبق منه ، أو عرف عنه في حكمه الأخرى وحسن اسلوبه ورقته ، وغرره ، ومستحسن أقواله

لا ينكر ، وان كان التعصب له أو عليه من الأمور التي لا تُستحسن الا بحق فلا يغمط حقه ، ولا يهمل النقد الموجه عليه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد ...

ثم ذكر أن المستحسن لا ينكر ، والقبيح لا يهمل وأمثال ذلك مما أطنب في المراد أو أوضح . وإن ما ذكر من شعري هذين الفحلين والمتقدمين القدماء ما يغني عن التقيّس عن سقطات سواهما وليُقَس ما لم يقل ، فقد بيّن أمراً جليلاً يتعلق بنفسية الشاعر وسلوكه ، أو نقد شعره مما يتعلقُ بالمجتمع ونهجه .

ثم مضى الى أنّ من عيوب الشعر :

اللحن وخشونة حروف الكلمة والزحافُ والأوزان ومجاورةُ الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها والافتتاحاتُ الثقيلة أو قُبح الاستفتاح والسّرق والإخلال بالتناسب في المعنى والأبيات أو تعقيدُ الكلام .

وهذه أوسعها علماء البيان ، أو رجال البلاغة ، وأكابر النحو ما يدعو للالتفات وصارت الأغلاطُ اللغوية معيبة ، واللحنُ يفضح قدرة الأديب ويسقطها ويقلل من شأنها ، والخلل اللفظي في الكلمات ، وفي التأليف مما يلفت الأنظار كثيراً ، ويدعو للنقد المرّ .

وهنا تدعو الحالة الى التنبيه الى أمر جدير بالالتفات ، وهو أن فساد اللغة ، وصيرورتها صناعية دعا أن يتوجه النقد فيها كثيراً وان تملأ منه بطون الأوراق . ومن العلماء من جمع الأغلاط النحوية ، والأدبية ، واللغوية لاتقان العربية ، وكتب القدماء أمثال أبي حاتم تدعو الى مطالب هي الجديرة بالالتفات مع سلامة ما ذكر مما تعرض له مؤلف (أعلام الكلام) .

وأمثلة هذه في شعراء كثيرين أورد ذكرهم المؤلف وجاءت عيوباً في مشاهير من الشعراء وقلّ أن يخلو أديب شاعر من نقص ولكن لا يخل هذا بمنزلته ، ولا يقلل من

قيمته الأدبية ولا يدعُ مجالاً في الموضوع . ولعل السببَ الرئيسي في الخلل ناجم عن الاخلال بالصنعة أو التهاون فيها أو الانصال بالطبيعية والتطبع فيقع المرء بمثل ما وقع ...

ثم ذكر أجود الشعر ومختاره وأنه القدوة لمن سلك السبيل والأنموذج لمن ابتغى أن يدخل البيوت من أبوابها ، فذكر أمثلة في الحكَم وما جرى مجرى المثل ، وفي الغزل ، وأورد أحسن المراثي وأفصحها ، واوجعها وافرحها . وفي المدح قدم خياره وأدل به على اقتداره .

هذا ونريد أن نقول : إن نتائج المعرفة في الشعر والشعراء أدت أن ندون عن كل واحد ما عرف عنه ، ويدخل ضمن ذلك النقد ، ونستخلص عيون شعر الشاعر وأن لانغفل امره لعيب فيه وان نختار ذلك ليكون عوناً لطالب المعرفة ، أو من أراد الاقتداء بعصبة الأدب الفاضلة فكانت النظرة سريعة ، ونحن أحوج اليها من مئات المجلدات . ويكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق .

١٤) البديع في نقد الشعر :

لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكفر طابي المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة ٥٠٣ هـ — ١١٠٩ م .

١٥) ديوان الأبيوردي :

النقد الأدبي تظهر أهميته في ذكر ما يتميز به شاعر عن آخر ، أو ينحط به عن غيره بأن تكون مزاياه محدودة أو عامة . ويصعب علينا ادراك هذه الا من نفذ نظره في المعرفة الأدبية وما كان من خصال الشاعر أو الأديب في اسلوبه ... والغالب على أدبائنا ان يمدحوا الشاعر لأن التلقي عنه كان بهذه الصورة ، أو وصل الينا خبره من طريق واحد لا نكاد نخرج عليه ، أو لا تتجلى حالته الا من تلك الواسطة ، أو كان الاتجاه معيناً فالجمود

واضح في مثل هذه الحالة ، ولم نلتفت الى تدقيق الشاعر الا من ناحية شعره ، ومن مقابلته بغيره ومراعاة المفاضلات بينه وبين أكابر الشعراء .

والأبيوردي هو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد الأموي المتوفى في شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ — ١١١٣ م شاعر مقبول الأدب ، وافر الحرمة في الصنعة ، متفق على اجلاله . جاءتنا أخباره كثيرة ، ولكن هل يصح أن نعول عليها ونفكر بما فكر به غيرنا ، أو نلتمس بأنفسنا أدبه وان ندرسه كأننا لم نعرف عنه ما قيل فيه بأن نراعي ما يوحيه رأينا ، وما يهدف اليه تحقيقنا فنقول كلمتنا نتيجة اتصالنا بشعره وبأدبه الفياض ...

اننا نشعر بمزايا عظيمة ، نعجب لشعره ، ولدقة صنعته وجليل أدبه وحكمته وأسلوبه المتين الرائع ، ففي الحماس بلغ الذروة ، وبالفخر تجاوز المألوف وعلا فوصل الى أسمى درجاته وفي الغزل كاد ينفرد بسعة الوصف ودقة المعنى ...

وكل ما علمناه أدخرناه لنعود الى ما قيل في شعره ، وما نطق أكابرنا بفضله ومكانته فهل ينطبق شيء من ذلك على ما شعرنا به ؟ وما مقدار ذلك ؟ وما هي الوجوه التي عددناها فائقة فيه ؟

والأمر الأجل أن يجد المرء من يناصره في فكرته ، أو أن آراء قدمائنا لا تزال جديدة ، أو تتجدد دوماً في إيرادها ، وتعلن عن افتكار صحيح في هذا الأديب الكامل الذي لم يضيع عزة النفس ولم يفقد الاباء . ذلك موضوع أدبه بوجه عام .

وبحثنا الآن يقتصر على نقد شعره ولا أدل على ذلك مثل قوله :

كلماتي قلائد الأعناق سوف تفنى الدهور وهي بواقي
دلّ فيها الذهن الجلي بألفا ظٍ رقاقٍ على معانٍ دقاق
فقريضي يراه من ينقد الأشعار سهل المرام صعب المراقي

لم يشِنْه المعنى العـويص ولا لفظ يكدّ الأسمـاع مر المذاق[1]

وهذا الوصف ينطبق على كل شعره مثل شعره من النعوت الفائقة ، وهي تقدما خلا منها ، وديوانه ينبيء عن شعره ، وجزالته من جهة ورقته من أخرى فهو يصدق على ما قال ويعد درة في جبين العصر سالمة من كل نقد . وعندي نسختان مخطوطتان منه احداهما في غاية النفاسة والاتقان وفي خزانة مجلس الأمة الايراني[2] نسخة كتبت سنة ٦٦٠ هـ وان العماد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ — ١٢٠٠ م قد أدخل هذا الديوان مرتباً على أحرف الهجاء ضمن كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) مما يتعلق بأدباء ايران خاصة وعندي منها نسخة خطية قديمة جميلة الخط ومتقنته وترجع لعهد المؤلف أو بعده بقليل .

وكان المترجم خازناً في دار الكتب النظامية ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب ابن سليمان الاسفراييني المتوفى في شهر رمضان سنة ٤٩٨ هـ — ١١٠٤ م .

١٦) رسالة المآخذ :

في هذه الأيام كثرت المباحث في (النقـد الأدبي) وكلها تلوك بعض الكتب فلم تتجاوزها ولا خرجت عن موضوعها ، ولو استقصينا المآخذ على الشعراء والكتاب بما تناول العلماء من مباحث لطال بنا الأمر ، ولدعا الحال الى مطالب موسعة جداً ، وهناك كتب عامة تتناول الموضوع ، وأخرى خاصة بشاعر أو جملة شعراء أو عصر أو عهـد ، ومهمتنا توضيح تاريخ الحركة الأدبيـة في مختلف عهودها فهي المهمة الجديرة بالتدوين وليس من الصواب الاقتصار على ناحيـة من نواحيها بل تصعب الاحاطة ومن جهة أخرى تعد تلك المؤلفات ثروة أدبية غزيرة جداً . فمن الضروري ان لا تهمل وبناء الفكرة عليها

(١) ديوان الأبيوردي ص ٢٢٥ طبعة المطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ وهي سقيمة وطبعت قطعة منه على الحجر في مصر سنة ١٢٧٢ هـ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٣٠ .

حاجة أدبية وعلمية معاً .

وهذه الرسالة وردت في كشف الظنون باسم (الرسالة السعيدية في المآخذ السكندية) نسبة إلى أبي الطيب سعيد بن المبارك الدهان السكندي عالم باللغة والأدب ، المولود ببغداد في ٢١ رجب سنة ٤٩٣ هـ — ١١٠٠ م وفيها منشأه والمتوفى سنة ٥٦٩ هـ — ١١٧٣ م بالموصل [1] ويفهم من سواها أنها (نقد لشعر المتنبي) بما آخذه من أبي تمام الشاعر المعروف أو اشتراكه في المعاني وأدى عين الغرض .

وهي مقابلة بين آراء المتنبي في شعره ، وآراء أبي تمام وما أبداه في النقل من معاني شعره ولا شك أن هذه صفحة أدبية خاصة تدلنا على درجة العلاقة بهذين الشاعرين وهما صاحبا مكانة مرموقة في الشعر العربي ، وان تدقيق مثل هذه يعين اتجاهاتنا الأدبية بين الشاعرين ومزايا شعر كل منهما ومعرفة قدرة المؤلف في تحقيق الاتجاه الأدبي ، وما عورض به من أديب آخر مشهور أيضاً حيث تتجلى المواهب الأدبية في الدفاع والانتصار ولكل فضله وعلمه وأدبه .

١٧) الاستدراك في الأخذ على المآخذ :

كانت رسالة ابن الدهان قد فقدت أو بقيت في زوايا الاهمال .

والاستدراك تأليف كاتب الديوان أبي الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن الأثير الموصلي صاحب المثل السائر المولود سنة ٥٥٨ هـ — ١١٩٢ م والمتوفى في سنة ٦٣٧ هـ — ١٢٣٩ م ويعد من أكابر رجال الأدب والمؤلفين المغرمين بالمتنبي وشعره وفيها تتعين لنا العلاقة بين أديبين نحويين مشهورين ابن الدهان وابن الأثير كما أوضحت آراء هؤلاء في المتنبي وأبي تمام وهذا هو النقد الأدبي بأجلى مظاهره والعلاقة بين النحويين

(١) معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤١ ولم يذكر هذه الرسالة ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٢٠١ . وهدية العارفين ج ١ ص ٣٩١ والاعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ج ٣ ص ١٥٢ الطبعة الجديدة .

مشهورة من كتابيهما فنرى تعارض الآراء ، ومكانتهما من البحث العلمي في تقدير مزايا كل منهما ودرجة أدبه .

آخذ ابن الأثير نده بما نسب الى المتنبي فانتصر له ودفع عنه ريبة السرقات الشعرية من غيره وناقشه في هذه المآخذ التي نسبها الى المتنبي وفند ما قال .

ومن المهم ذكره أن ابن الأثير لم يتمكن من ضبط نفسه عن بيان المآخذ على المتنبي ولم يسكت عما عثر عليه من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي ، فيكون كما قال المرحوم الاستاذ المغربي قد جمع بين مؤاخذات ابن الدهان وبين ما استدركه هو عليها ، ومن جراء ذلك سمى كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) . منه :

(١) نسخة فيها خرم لدى الاستاذ المغربي وهذه تصلح للمقابلة والتصحيح .

(٢) نسخة في خزانة الأستاذ العلامة أحمد تيمور سميت بـ (الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية من المعاني الطائية [1]) ، وهي كاملة ولكنها لا تستغني عن سابقتها للاستفادة من تصحيحها ومقابلتها .

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه كلاماً مسهباً في (نقد الشعر) ولعل هـذا محط الفائدة العامة ، واكثر من الشواهد الشعرية فيه ، وقابل بينها الا أنه ذم نده وتحامل عليه ونعته بأنه لا بصارة له في (صناعة الأدب) ولا عناية بفن (نقد الشعر) .

والكتاب وان كان خاصاً بشعر شاعر ومقابلته بشعر آخر إلا أنه محل ابراز المواهب في مثل هذه النواحي وطريق البحث فيها بوجه أدبي عام ، واتخاذ الموضوع وسيلة للتبسط في الأدب وبيان الاحكام العامة في النقد . والحاجة ماسة لهذه الآثار الخالدة الجديرة بالعناية لاظهار ما فيها ، والتطلع الى الحركة الأدبية من وجوهها العديدة في عصر من عصور كماله .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢١ ص ٣٩١ من مقال للاستاذ عبد القادر المغربي في وصف نسخته

ولو فرضنا ان نسخة الآخذ قد فقدت وزالت من البين ، فلا شك ان الاستدراك لابن الأثير يعوض نوعاً ، ويبصر بوجوه النقد له ويعين النهج الأدبي في نظره وان كان لم يذكر مأثرة للاصل ويغمط حق مؤلفه فلم يكن أول من أنتهكت حرمته أو ضيع الناس فضله وكمال ادبه ، والله عادل لم يترك ابن الأثير يتطاول حتى سلط عليه ابن أبي الحديد في نقد كتابه المثل السائر .

وعلى كل حال حاجتنا كبيرة في احياء مثل هذا الأثر الجليل وان نقف على المجرى الأدبي في عصر من عصور كماله ويعد صفحة كاشفة عن حالات النقد في تطور الأزمان ومعرفة أثرين جليلين والأمر غير مقصور على النقد وانما التعرف لمثل هذه الآثار ودرجة الاتصال بها .

١٨) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر [١] .

النقد الأدبي في جاهليته لم يكن تابعاً لقواعد علمية أو لتنظيم وإنما هو تابع للمواهب التي تظهر بين حين وآخر ويداخله الأخذ والرد وفي العهد العباسي اكتسب وضعاً علمياً وقواعد خاصة ، ولا شك أنه استمان بما كان يجري من قواعد علمية وعقلية ، ونتيجة جدل أو ما يقال له (آداب البحث والمناظرة [٢]) أو ما هو قريب منها ، فاكتسب انتظاماً واستمرّ في سيرته العلمية الى آخر الدولة العباسية .

والمثل السائر من آخرها وهو من كتب البلاغة المهمة ومن اجلّ كتب النقد المعتبرة وأوسعها مطالب ، واغزرها مادة ، ونال مكانة في الأوساط الأدبية ، وأحدث ضجة ، فظهرت قيمته فيما رمى اليه من اهداف ، نقد بعض الأدباء نقداً مراً ، ونالها مما اكسبته

(١) طبع في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ وفي المطبعة البهية سنة ١٣١٤ هـ وطبع بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٨ هـ — م بمصر .

(٢) بحثنا في مجلة القضاء البغدادية ج ٣ س ١١ — ١٨ في آداب البحث والمناظرة .

التجارب وهو قوي الحجة لا يوازيه انتقاد منتقديه ، ولم يتحاش ذلك مما جلب السخط عليه . وهو تأليف ضياء الدين ابن الأثير .

تناوله العلماء بالبحث والتمحيص والتحقيق ؛ فمنهم من اعجب به غاية الإعجاب وعدّه من أفضل ما كتب في موضوعه وبزّ سائر الكتب من نوعه وفيه توجيهات علمية استفادة من الآيات الكريمة والحِكَم القرآنية فاتخذ معانيها اصلاً في المراد بيانه وكذا من أمثال العوام واقتباسها أو تضمينها للنظم والنثر وفيه بيان عدّة الكاتب وما يعرض له من عقبات وما يدعو لتقدمه في صناعته فهو توجيه ونقد معاً . انتشر قديماً وحديثاً منه نسخ خطية في الموصل وفي الخزانة الأحمدية نسخة كتبت سنة ١٠٧٧ هـ وفي خزانة الحجيّات نسخة كتبت سنة ١٠٧٨ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة ١١٢٣ هـ [١] .

وقد اطلع عليه الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد [٢] في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ في بغداد ، وأتم نقده بعد اسبوعين بكتاب سمّاه (الفلك الدائر على المثل السائر) وتعرّض فيه للغة كثيراً وصلح ان يكون كتاب نقد لغوي كما أنه كتاب نقد أدبي وتعرض له أيضاً عند شرحه لنهج البلاغة في مواطن عديدة منه . وكتب اليه أخوه موفق الدين أبو المعالي القاسم مقرظاً له ، قال :

---

(١) مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي طبع سنة ١٩٢٧ م في مطبعة الفرات ببغداد ص ٤١ و ١٠٠ و ٢٢٩ .

(٢) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ويعرف بـ (ابن أبي الحديد) ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ - ١١٩٠ م وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م بعد أخيه القاضي موفق الدين أبي المعالي القاسم ابن أبي الحديد المدائني بأربعة عشر يوماً وفي رثائه لأخيه المذكور يفيد أنه توفي بعد الوزير ابن العلقمي بنحو اسبوع وهذا توفي سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م وما جاء في فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٧ من انه توفي سنة ٦٥٥ هـ فغير صحيح وترجمته مذكورة في آخر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧١ نقلا عن ابن الفوطي من كتابه (مجمع الآداب في معجم الألقاب) وأوسع ترجمة رأيناهـا له في كتاب نسمة السحر مخطوطة عندي نسختها .

المثل السائر يا سيدي ... صنعت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر ... أصبحت فيه المثل السائرا

فاذا كان ابن الأثير أبدع في أثره، وحاول ان ينجح النجاح كله في موضوعه الأدبي وفي النقد من ناحيته فلا ريب أن ابن أبي الحديد فاق في التوجيه وأبدى قدرة في نقده، ويصح الجمع بينهما والاستفادة من كليهما فلا يستغني بالواحد عن الآخر وكل منهما مصيب فيما رام نوعاً وموفق فيما قصد ... ولكن النقد الموجه لم يكن كله صحيحاً ولا يزالان أصلاً في التوجيه العلمي في البلاغة وعلاقتها بالأدب العربي فكان كل كتاب منهما بقي خالداً لم تنسخه العصور، ولم تؤثر عليه في مطالبها وأوضاعها المتجددة ...

قال ابن أبي الحديد :

« وجدت فيه المحمود والمقبول، والمردود والمرذول أما المحمود منه فانشاؤه وصناعته، فانه لا بأس بذلك الا في الأقل النادر، وأما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه، فانه لم يأت في ذلك في الأكثر الأغلب بما يلتفت اليه. ولا بما يعتمد عليه، فجداني عن تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية امور منهـا إزراؤه على الفضلاء، وغضه منهم، وعيبه لهم، وطعنه عليهم فان في ذلك ما يدعو الى الغيرة عليهم والانتصار لهم، ومنها افراطه في الاعجاب بنفسه، والتبجح برأيه والتقريظ لمعرفته وصناعته وهـذا عيب قبيح يحبط عمل الانسان ويوجب المقت من الله والعباد [1] ... » اهـ

ومن خلال سطوره يفهم انه يحاول مناضلته ويريد أن يبدي قدرته، ولم يكن الانتصار فيما نقد صحيحاً من كل وجه، وأظهر نعرة في الانتصار لبغداد وأنه لا يصح منه ان يفخر على بغداد ولم يقصر في مدح نفسه، ولا أهمل ناحيته، وجاهر بأنه خدم بها خزانة الخليفة المستنصر بالله ... وقد نقل كلمات من الأصل فعلق عليها ونقد المصنف نقداً

(١) الفلك الدائر ص ٣ طبعة الهند الحجرية سنة ١٣٠٩ هـ.

مرآ أصاب في بعضه أحياناً ومن وجه وأخطأ في آخر منه ، وقدرة الرجل مسلمة ولا يخلو كتابه من فوائد ، وتوضيحات ومباحث جليلة ..

والنقد الموجه على الأصل جاء بتحامل ولغرض سياسي وهذا لا يقلل من قيمتـه ولا يجعلنـا نتركه لما نشـاهد من نقد ومطالبه عظيمة والناقد فاضل ، والانتصار وسـيلة . جاءتنا الفائدتان مجموعتين لا يستغني بواحدة منهما عن الأخرى وفيهما جلاءٌ عن نفسيات لا يستهان بها . .

وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤٠ هـ — ١٢٤٣م كتاباً يردُّ فيه على الفلك الدائر سماه (نَشرُ المثل السائر وطي الفلك الدائر) وصنف بعضهم كتاباً سماه (الروض الزاهر في محاسن المثل السـائر) وصنف عبـد العزيز بن عيسى كتاباً سماه (قطع الدابر عن الفلك الدائر) [1] .

ونجم الدين أبي زكريا يحيى بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبـودي الحـكيم الأديب من علماء الأطباء واقف المدرسة اللبودية من مدارس الطب بدمشق . صنف كتاب (نزهة الناظر في المثل السائر) والظاهر أنه توفي بعد ابن أبي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ—١٢٦٨م فقد أورد له شعراً مؤرخاً في سنة ٦٦٦ هـ ولم يذكر وفاته وجاء في كتـاب الأعلام : ولد في حلب سنة ٦٠٧ هـ ـ ١٢١٠ م وتوفي سنة ٦٧٠ هـ ـ ١٢٧١ م وما جاء في كشف الظنون من أنه توفي سنة ٦٦١ هـ فغير صواب كما ان والده شمس الدين محمد توفي سنة ٦٢١ هـ كما في

(١) كشف الظنون في مادة المثل السائر ج ٢ ص ٣٢٦ من طبعة استنبول القديمة وفي ج ٢ ص ١٥٨١ من طبعة استنبول الجديدة وجاء في ج ٢ ص ٢٣٨ من الطبعة القديمة و ج ٢ ص ١٣٠٢ من الطبعة الجديدة أن مؤلف كتاب قطع الدابر هو السيوطي وفي قائمة مؤلفاته ما يشير الى ذلك أيضاً أما المؤلف عبد العزيز بن عيسى فلم أجد له ترجمة في الشذرات والدرر الكامنة والضوء اللامع .

الشذرات فلا احتمال ان يكتب كتابه قبل تأليف ابن أبي الحديد كتابه الفلك الدائر [1] .

وصنف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي كتاباً سماه (نصرة الثائر على المثل السائر) منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا .

وللعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن العطار الدنيسري المصري المتوفى سنة ٧٩٤ هـ — ١٣٩١ م (نزهة الناظر في المثل السائر) [2] .

كل هذه المؤلفات تدل على عناية كبيرة ورعاية من أكابر العلماء منهم من رد عليه ومنهم من انتصر له .

ويلاحظ :

أن درجة الاهتمام بالأدب ، وطريق الاستفادة من منظومه ومنثوره ، انما يكون بمقدار مراعاته لأدبه . واتقانه ، فهو وافر المادة في المعاني المقصودة ، مستكمل العدة جامع المطالب واذا كنا نرى النقد الأدبي مرعياً فهذا لا يبرر أدعياء الكتاب أن يتعثروا في الصرف والنحو ويتهوسوا في أمور لا تغيب عمن يدرك مبادئ العربية والكتب التي وصفناها وأمثالها تربي ملكة الأدب وتنمي النقد الأدبي وفيها كفاية عن الاستقصاء .

— نسمع من كتاب عديدين أن الأدب العربي خلو من النقد العام أو النقد الشامل للموضوع وانما يراعي الجزئية وما فيها من مادة خاصة كأن ينقد بيتاً أو كلمة في بيت وما

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٥٥ — ١٥٦ والاعلام للاستاذ خيرالدين الزركلي الطبعة الجديدة ج ٩ ص ٢٠٩ ومنادمة الاطلال ومسامرة الخيال تأليف الشيخ عبد القادر بدران ص ٢٥٢ من منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٩٦٠ والمدارس في المدارس للنعيمي ج ٢ ص ١٣٥ نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ج ٢ ص ١٨٥ — ١٨٩ المطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ م .

(٢) كتاب الاسفار عن العلوم والأسفار تأليف الأستاذ محمد جميل العظم مخطوطي ص ١٥٢ وهدية العارفين ج ١ ص ١١٩ وكشف الظنون .

مائل ذلك ، وحصروا مثل هذا النقد في انه موجه نحو الموازنات دون حكم أو أنه يرجح ويفضل في هذا الحكم .

ولا يهمنا من يكتب كما يريد دون ملاحظة الواقع ، فالأدب العربي مدون في آثاره العديدة ، ويستدعي النظر في حقيقة ما قيل أو يقال ... ومن المهم ان نتثبت ، ونرجع الى مدوناتنا ، فنقطع في الموضوع ونعين الغرض المقصود في مثل هذه الأمور ونتتبع كلام العرب . وهل قاموا بمهمة مثل ما عند الغربيين من نقد أدبي ، ذلك ما تناولناه في هذه المباحث التي صارت غذاءً للعهود التالية ونهجاً للأمة في سيرتها الأدبية .

والنقد الأدبي من شأن الأدباء وانه ذوق لا يقدره غيرهم ، والاشتغالات اللغوية والنحوية والصرفية من شأنها أن تصلح النطق لا أنها تصلح الأدب وإنما الملكة في الأدب وآثاره هي التي تحقق الأغراض وتنمي الذوق الأدبي وليس لدينا طريقة لتقوية الملكة سوى مراجعة الآثار الأدبية والاكثار من مطالعتها .

ويهمنا اشتغال ادبائنا وعلمائنا بالآداب ومعرفة تاريخ هذا الاشتغال ضرورية لادراك هذا النقد ، وتطوره . وفي هذه الحالة نرى الضرورة تدعو الى معرفة :

(١) الذوق والاشتغال باستمرار ليفسح المجال لتقدير المكانة وموضوعه عظيم الأثر .

(٢) عيوب الشعر والنثر ، من ناحية الاخلال بهذا الذوق تارة ، ومن الاخلال بالقواعد من أخرى . مع ملاحظة السرقات الشعرية .

(٣) دخول الأساليب الغربية وانها تجديد في الأدب ومادته .

(٤) استفادة الصنعة مما هو طبيعيٌ وجار على سننه دون المتكلف .

(٥) تدقيق الآثار الأدبية وأقوال الأدباء مع مراعاة الصلة بالنقد الأدبي وتاريخه لنتوصل الى نتيجة ومن ثمّ نقارن بين انطباعاتنا وما خلفه السلف .

(٦) الأدب العربي صار ينظر اليه بمنظار الأدب العالمي فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة وطريق للمعرفة والفيض الأدبي .

٤ — عصر المغول والتركمان

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م

الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م

استمرت الحالة الأدبية على وتيرة من العهد العباسي فكان غذاؤها المؤلفات السابقة في النقد الأدبي وحدث فيها بعض التجدد فكان لها لونها الخاص من جهة والدوام على ما جرى .

وكتب النقد الأدبي تتناول المباحث العامة والقواعد الشاملة في النقد ، ولكن اتخاذ اديب أصلاً في الموضوع أقرب للوجهة العملية والفائدة المتوخاة . فانها من قبيل اعطاء الحكم بالمثال . فاكتسب النقد الأدبي تنظيماً كبيراً ونال مكانة رائعة .

ولا شك ان كتب النقد تنتزع منها القواعد ولها نظائر في العهد العباسي وتقتبس الأحكام ولم تكن مسبوقة في التنبيه أو أن المرء يحاول ذكر ما لم يعهد ذكره في الفات النظر .

ولم يكن هذا النقد إلا مقارعة في الاتجاهات الأدبية ومعارضة لما هو شائع على خلاف ما نرى من نقادنا الحاضرين ، يتخذون الغلط اللغوي ، وإعادة ما ذكر في المعاجم أو لوحظ في الكتب المعتادة المتداولة كأنهم اكتشفوا أمراً جديداً ، أو فتحوا في اللغة فتحاً غير مسبوق أو جاؤا بأمر لم يعهد ...

وبذلك ظهرت مؤلفات عديدة صارت غذاء أدبياً وثروة لا يستهان بها . وهذه

يؤسفنا اننا لم نحافظ على بعضها ، فمن نتائج الاهمال ان حرمنا نفعها كما هو الشأن في الكتب المؤلفة في المثل السائر ، وفي الفلك الدائر في الذب عن آراء كل منهما فحرمنا معرفة الاتجاهات في هذه الحركة الأدبية أو ما يصح أن نسميه المعركة الأدبية لو لم تزعجها تدخلات أو تدخلها قسوة في بعض النقد على خلاف ما تقتضيه آداب البحث والمناظرة .

و (النقد الأدبي) وما يعارضه فان من أمثلته الواضحة ومؤلفاته تتجلى في الكلام على (ابن سناء الملك) والنقد الموجه عليه من ابن جبارة وأبي حيّان وصفي الدين الحلي ، ومن انتصار الصلاح الصفدي لابن سناء الملك والدفاع عنه وهذه مناضلات أو مراجعات في آراء أدبية ومباريات في توجيهات لغوية يقصد منها ما هو أجل من النقد أعني تثبيت الآراء وتعيين التوجيهات في تاريخ النقد الأدبي ومصادره ومن أهم هذه المصادر :

١ — شعر ابن سناء الملك :

وابن سناء الملك عالم وقاض وشاعر معروف في أيامه ولّد شعره أوضاعاً متعاكسة وجرّ الى منافشات بين محاربي الأدب ولم يكن النقد بالمستغرب ، وانما سبق ان نقد الأدباء شعراء كثيرين نقدوا شعره من وجوه عديدة من جهة انه لا يخلو من الفاظ عامية أو معربة ، أو اصطلاحية أو تعابير ركيكة نشأت من تأثير اتصاله بالعامية وهكذا تناولوا اسلوبه ... ودعا الى حركة ادبية من ايام العهد العباسي فما بعده وبالتعبير الأولى اتخذ وسيلة لاظهار القدرة الأدبية في نقده ، وفي الدفاع عنه والانتصار له ، وهو الأديب الكامل ، فيصلح أن يكون شعره موضوعاً للنقد الأدبي ووسيلة لبحثه .

وهذا ما نعته به الصلاح الصفدي :

« من الأدباء الذين ما لمحاسنهم إنكار ، والشعراء الذين جاوا من اعيننا بأبكار الأفكار ، والفضلاء الذين روّقوا سلافات المعاني فحصل منها للألباب إسكار ، وأولي الاختراع الذين يقضي لمحاسن ما شرحوا وابتكروا القاضيان شريح وبكّار ، فهو الأديب الكامل عملا ،

والنسيب الذي كم بلغ من الاختراع املا ، والأريب الذي استوفت راح معانيه حولها كلا ، نظم القريض فأبان عن البيان واعرب ، فهز غصون الأعطاف وهزأ بالحمائم فأطرب ، وقال الموشح فشرق (ذكره) فأشرق وغرب فأغرب ، وكلماته في كل ما أتى به كما قال الغزي :

عقود في حلى الأيام تجلى ... وطوراً فوق أكمام الكمال

ولكنه حسد على محاسنه ، وحصلت الغيرة منه لكونه غاص على در كلامه ، واستخرجه من معادنه ، حسدوا الفتى إذ لم ينالوا ، وتعرضوا إذ لم يبالوا ، وقد اعترض عليه جماعة بالغرض وما بذوا جواهره النفيسة بالعرض [1] ... » اه

ومختارات هذا الشاعر متداولة بين الأدباء ومن شعره المحفوظ قصيدته التي مطلعها :

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى

وغيري يهوى ان يعيش مخلدا

ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا

ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا

ومنها :

ولي قلم في أنملي ان هززته ... فما ضرني أن لا اهز المهندا

اذا صال فوق الطرس وقع صريره ... فإن صليل المشرفي له صدى

ومن شعره :

لا الغصن يحكيك ولا الجؤذر ... حسنك مما كثروا أكثر

يا باسماً أبدى لنا ثغره ... عقداً ولكن كله جوهر

قال لي اللاحي اما تسمع ... فقلت يالاحي اما تبصر

(١) كتاب الانتصار على جواهر الدلالة في الاذهار لابن سناء الملك تأليف الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي — مخطوطتي .

وابن سناء الملك هو القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر السعدي المصري ولد سنة ٥٥٠ هـ — ١١٥٥ م وتوفي سنة ٦٠٨ هـ — ١٢١١ م ومؤلفاته :

١ — ديوان شعره : نشر بتصحيح وتعليق الدكتور محمد عبد الحق ومصدر بمقدمة مطولة باللغة الانكليزية وطبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن — الهند سنة ١٩٥٨ م وصفحاته ٨٨٥ والمقدمة ٦٢ صفحة .

٢ — دار الطراز في الموشحات .

٣ — الرسائل : بينه وبين القاضي الفاضل .

٤ — روح الحيوان : مختصر كتاب الحيوان للجاحظ .

٥ — فصوص الفصول وعقود العقول : في الأدب منه نسخة في خزانة الاسكوريال [١] وفي خزانة الأزهر .

٢ — نظم الدر في نثر الشعر :

تأليف الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن جبارة علق على قطعة من شعر ابن سناء الملك ونقدها بتحامل [٢] استفادة من شهرته ليبرز في هذا النقد . وكأن كتب النقد الأولى قد مضى عهدها ، فأراد أن يبدي قدرة في مناضلة ابن سناء الملك على ما اكتسب من شهرة في زمانه وهذا الكتاب لم يتيسر لنا العثور عليه ، ولا ندري كيف غفلت العصور عنه واهملت أمره مع احتفاظها بمن نقد المتنبي من أدباء ، أو أبا تمام ، أو البحتري وأمثالهم .. وقد اشعر الصلاح الصفدي لابن سناء الملك في كتابه الغيث المسجم بقوله :

« ومن حسن التخلص قول ابن المعتز :

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٨٠ طبعة بولاق وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ج ٢ ص ٥٠٩ طبعة استنبول .

(٢) كتاب الاقتصار على جواهر الملك في الانتصار لابن سناء الملك مخطوطي ص ٢ .

والله لا كنتها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا بقوله :

ومليحة بالحسن يسخر وجهها بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيهاً لها والبدر بل لا اكتفي بالمكتفي

وتعنت عليه ابن جبارة في تمارينه (نظم الدر في نقد الشعر) التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيراً ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الأرض في عظم الشأن وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن. ومن أين للمكتفي صفة الحسن؟ والذي دلت عليه التواريخ أنه أسمر أعين قصيراً وليست هذه من صفات الحسن؟ وانما ظن ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه وأخذ في مهيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصده[1] ... » وتناول هذا الموضوع في كتابه وتلاوة وعلاوة على كتابه الاقتصار على جواهر السلك فقال :

« لما كنت بالديار المصرية حرسها الله تعالى في سنة ٧٢٨ هـ قال لي يوماً بعض أهل الأدب ومن يظن نفسه انه ينسل اليه من كل حدب أأنت يعجبك قول ابن سناء الملك ؟

لا أرتضي بالشمس في تشبيهها والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

قلت نعم[2] ... » وتناول في جوابه سعة وتفصيلاً عما ذكر آنفاً ... ويفهم ان المعترض يتمسك بقول ابن جبارة ويعتقد بصحته في سؤاله .

---

(١) البيت للمنجم في شرح لامية العجم ج ١ ص ١٢٨ المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ وأعاد ذكره في ص ٢٢٤ وفي ج ٢ ص ١٠ و ١٨٢ وديوان ابن سناء الملك حاشية ص ٢٧ .

(٢) تلاوة وعلاوة مخطوطتي ص ٤٨ .

٣ — نقد الشعر :

تأليف الشيخ العلامة أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي النحوي ولد سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م وتوفي بالقاهرة في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ — ١٣٤٤ م وهو أستاذ الشيخ صلاح الدين الصفدي . وتعرض في كتابه هذا نقد شعر ابن سناء الملك ولم نطلع عليه لندرك وجوه النقد .

٤ — العاطل الحالي والمرخص الغالي :

للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ويعدّ من كتاب عصره وأدبائه وعلمائه وشعرائه ومن المشاهير في اللغة وكتابه هذا من أهم كتب النقد الأدبي واللغوي ويوضح مدى تمكنه في اللغة وجاء في مقدمته :

« وسميته (العاطل الحالي والمرخص الغالي) لكونه عاطلاً من الإعراب حالياً من المعاني والآداب مرخصاً بين ذوي الخلاعة والهزل غالياً على ذوي الجد والجزل وجعلت كتابة كل ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفظ لا على قاعدة الضبط والتحفظ اقتداء بما فرضه أربابه من الفروض واتباعاً لأئمة علم العروض ... » .

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ — ١٢٧٨ م وتوفي ببغداد في المحرم سنة ٧٥٠ هـ — ١٣٤٨ م [1] .

جاء في كتاب الاقتصار على جواهر السلك للاستاذ خليل بن أيبك الصفدي ما نصه :

« قال الشيخ الامام الأديب البارع البليغ المفوّه الفاضل شاعر زمانه صفي الدين

(١) تفصيل ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٦٩ وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٢٢٩ والبدر الطالع والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي مخطوطة برقم ٣٤٦٨ في خزانة نور عثمانية والأعلام للاستاذ خير الدين الزركلي ج ٤ ص ١٨١ وتفصيل ترجمته في المجلد الأول من كتابنا التاريخ الأدبي في العراق للعهد المظيم .

عبد العزيز الحلي رحمه الله تعالى في آخر كتابه (العاطل الحالي والمرخص الغالي) .

هذه الفنون الأربعة وإن عدها قوم من سقط المتاع ، فإنها شديدة الامتناع ، خصوصاً على من لم يباشر لفظها ، أو يعاني حفظها . وكان من عزمي أن أعرض عنها ، ولا أنظم فناً منها . فلما رأيت أهل كل فن يفضلونه على الأشعار العربية والألفاظ الأدبية ، ويدعون أن سواهم كالمتطفل عليهم ، والمرتمي اليهم ، نظمت منها قدراً يسيراً ، ليشهد لي بالقدرة عليها ، ولم أر أن ألتهي بها عن الأعلى فالأعلى من فنون الأدب ، وان اعدل عن الدر المخشلب . لعلمي أن الإكثار منها يفسد اللسان العربي اذا ألفه .

ألا ترى الى القاضي الأجل الكامل عز الدين هبة الله بن سناء الملك مع فصاحة لسانه . وفضل بيانه . لما كثرت محاورته لأرباب الأزجال . وألف ألفاظهم ، وان كان اكثر منظومه الموشح المعرب لكن جعل جميع خرجاته زجلية غلب على نظمه في القريض استعمال اللفظ العامي ، وفساد المعنى ، واختلاف تركيبه ، حتى اخرجوا له جملة من ديوانه من ذلك . ومما لايجوز استعماله في العربية جزءاً كبيراً ، ا هـ [1] .

وهنا لم يستهدف الصفي الحلي إلا التوجيه في مفردات اللغة ، وتراكيبها ، فبين أن الاكثار من اللغة العامية والزجل يفسد اللغة الفصحى ويؤثر على ألفاظها وأساليبها .

ان الصفي الحلي دون ما رآه صواباً من نقد ، وهو العارف بمواطن الكلم والكلام ، وهو ما نشاهده بعينه في هذه الأيام . فاذا كان لم يصب شاكلة الصواب من كل وجه في اتخاذه قريض ابن سناء الملك موضوعه ، فلا ريب أنه في التنبيه على الافساد كان المجلي ، وحاول سد الباب حرصاً على الفصحى .

---

(١) كتاب الاقتصار على جواهر السلك . وهذا النص ليس له ذكر في المطبوع من العاطل الحالي والظاهر أنه حذف منه .

بقيت القاعدة التي قررها محفوظة معتبرة ، وكانت ناحية الانتصار لابن سناء الملك مقصورة على الأمثلة ، فهل يصح أن نعد ابن سناء الملك في عداد من ذكرهم ؟

لا نريد أن نتعصب للصفي الحلي وإنما نقول : إن الأيام في تعاقبها تجعلنا نقطع بأن هذه الآراء تتجدد ، وانها محل الأخذ والرد ، وعندنا كثيرون صاروا يودون إبداء ما عندهم بلفظ عامي خشية أن يحاسبوا على الغلط أو يرموا بالجهل ، ولم يدروا أن لغات العالم تابعة لقواعد في صحة التلفظ بالوجه اللائق والضبط الصحيح ، فكان فقدان الملكة ونقصان التمرين من أسباب الفشل ، ولم يكن هذا من اللغة وإنما هو من نفس الأدباء ، واللغة العربية في كل أزمانها عبرت عن أجل المطالب وأبدت ما تجدد من نزعات أو نزغات ، وأوضحت كل أمل ، فلم يعوزها بيان .

وما مكانة الأدب العامي ، وشعر البادية في النفوس إلا لأنه أرقى في عاميته من شعر شعراء لم يوفقوا في قريضهم لضعف في التعبير وركود في القرائح على خلاف ما نعلمه فيمن فاقت مزاياهم الأدبية ، فبزّوا غيرهم وأخذ شعرهم نصيبه من النفوس في قوة التعبير ، وسهولة الأداء ، وجذب انتباه السامع .

وعلى كل حال لم يكن النقد محاسبة لابن سناء الملك على هفوة ، أو غلطة ، فهذا أيسر ما يقع ، وانما المقصود تصحيح فكرة ، والآراء مختلفة بل المهم تعيين نهج أدبي في استعمال الألفاظ ، وفي رعاية التراكيب . يقول الحلي : هذه نتيجة تعود لاغلط مقصود . ومن هذه وأمثالها تكوّن النقد الأدبي فصار ثروة كبيرة ، وخلد آثاراً عظيمة كانت أجل رأس مال أدبي .

هذا و (العاطل الحالي والمرخّص الغالي) كما يفهم من نصوصه أنه لم يتعرض لما ذكره الصلاح الصفدي في كتابه (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) والظاهر أن هذا الكتاب قد حذف منه ما يتعلق بهذا البحث باعتباره خارجاً عن

موضوع الكتاب ولعله مهذب منه . طبع في المانيا سنة ١٩٥٥ من نشريات مجمع العلوم والآداب عني بتصحيحه الأستاذ هلموت ريتر .

٥ — كتاب الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك : (مخطوطة نادرة) .

يصعب علينا تقدير قيمة المرء ، والوقوف على مكانته من كتب التراجم الموجودة ، فان غالبها يكاد الواحد يشبه الآخر في اسلوبه ، ونعوته بل نرى هذه النعوت غير خاصة بواحد ، ونميل الى ان الواحد قريب من الآخر في اشتغاله ، خصوصاً بعد أن نعرف أن المترجمين يزاولون موضوعاً واحداً ، أو يتناولون أمراً عين ما يزاوله الآخر .

يعرف المرء بما أوتي من مواهب ، وما ملك من قدرة ، وما أدرك من صنعة وهذه خير مقياس لها أثره ، وما خلفه مما له علاقة مكينة بتفكيره ، وما أبداه من رأي ...

ومؤلف هذا الكتاب الاستاذ العلامة الشيخ خليل بن أيبك الصفدي [1] ولد سنة ٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م وتوفي في ١٠ شوال سنة ٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م . ولم يعرف بخصيصة واحدة أو ببعض الخصائل . وانما هو ممن جمع فضائل جمة فأمكن أن يعد في مصاف أكابر المفكرين ، والعلماء المشتغلين ورجال الأدب .

نعم يتفاضل الرجال بما يملكون من هذه المواهب البارزة في آثارهم لا بكثرة الجمع ، ولا بالتنسيق ، وانما بالادراك المقرون بهذه الأمور ، وتجلت القدرة التاريخية ، والمكانة الأدبية ، والمادة اللغوية ، والمزايا العالية ... لا نريد غير ما ذكر ، ولا نتطلب أكثر مما علم ، ولم نكن لنعلم الحالة بالتخمين ، أو بطريق الاستدلال والاستنتاج ، أو من العدد الكبير الى آخر ما هنالك .

---

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٩٣ وطبقات السبكي ج ٦ ص ٩٤ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية ومعجم المطبوعات ص ١٢١٠ وفيه المطبوع من آثاره .

نريد أن ندرك بعض أساليبه ، وطريقته في البيان ، ودرجة الفائدة ومقدار العناية ، وزيادة التمكين لنتمكن من الوصول الى الغرض ، وندرك الحاجة ونهتم للأمر ذلك الاهتمام كله أو بعضه مما لا يكفي وحده أيضاً للمعرفة بل نعين كنه ما زاوله من مطالب ... وكل هذا يتحقق من آثاره .

واذا كان مسبوقاً بأدباء أفاضل مثل ياقوت الحموي وابن خلكان وغيرهما فان فضائله لا تكاد تحصى ، والتجدد في البحث الأدبي يجعل له المنزلة العالية في عصر المماليك في مصر وليس غرضنا توجيهه ، فالكل من أكابر الأدباء فضل ، بل كل أثر من آثاره يعين مكانته الفائقة فتجعله في مصاف من أنجبتهم العصور الاسلامية من الأفذاذ ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، وانما نحاول بيان خدماته في النقد الأدبي وتاريخ الأدب .

وبيدنا كتابه المسمى (الاقتصار عن جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) اقتنيت في آخر ايلول سنة ١٩٢٤ في بغداد نسخة مخطوطة منه بخط جميل مضبوط . وفيها من التذهيب والترويق ما يعين الصنعة . كتبت للخزانة الكريمة المولوية الأفضلية العلائية لابن فضل الله [1] صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية .

أوله : « أما بعد حمد الله على اعاطي حميا الحمية ، وتوالي النفوس على الانتصار لمن كان منية الحياة وأصبح رمية المنية ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي لم ينقض قوله ، ولم ينقص طوله ، وعلى آله وصحبه الذين تورعوا عن ذكر الأموات ، وراقبوا الله تعالى في المحاضر والخلوات . وسلامه الى يوم الدين ... » اهـ

والكتاب يفهم من براعة استهلاله انه رد على الصفي الحلي وهو عراقي في كتابه (العاطل الحالي والمرخص الثالي) وعلى شرف الدين ابن جبارة في كتابه (نظم الدر في

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي ولد سنة ٧٠٠ هـ — ١٣٠٠ م وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٨ م وترجمته في فوات الوفيات ج ١ ص ٣ والتعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٨٢ .

نقد الشعر) . انتصر لابن سناء الملك وهو مصري ، كما ان المؤلف الصفدي شامي . وهكذا تكون الأقطار العربية قد اشتركت في الموضوع . فكان قلم الصفدي واضح الحجة ، ظاهر الدليل ، كامل السعة ، لا يجارى في ميدان وقد ذكرنا عما قيل :

علیم بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

ينقل النص ، ويبدي رأيه فيه ، ويعزز ذلك بشواهد ونظائر ، فلا يدع زيادة لمستزيد. ومنه نعلم درجة النقد ووجه الانتصار ، وتظهر مكانته وقدرته في التوجيه الأدبي . ويتجلى النقد في :

ساذجة وتزوقت :

كان الصفدي قد ذكر قول الصفي الحلي بالوجه الذي عرضته ، وأبدى رأيه على وجهه، وأورد الأمثلة التطبيقية ، قال الصفي الحلي :

« مما لابن سناء الملك من اللفظ العامي قوله :

ساذجة لكنها بالحسن قد تزوقت

لم يسمع في لغة العرب الساذج أبداً ، لكنه في لغة الصناع والنقاشين مع ما أضيف اليه من لفظة (تزوّقت) العامية . » اه

فأجابه الصفدي بما لفظه :

« الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى شاعر عصره ، ونادرة دهره في فنّ النظم مطلقاً ، وهو جواد في جواد الشعر مقدّم ، وان كان في هامش الزمان جاء ملحقاً الا أنه الآن تعصّب وجاء الى هذا الرركش المصري فجعله من المقضّب أو المقصب ، ولو ادّعى ذلك غيره لكنت حاكمته اليه ، وجعلته صريع الحق لديه ، وكان هو من أكبر الأنصار على ما كان في ظني ، وخيّله لي فيه ذهني . فقوله : إن (ساذجة) و (تزوّقت) من ألفاظ العوام ، أقول : ساذجة وان لم تكن من الفاظ العرب فانها قد صارت في العرف حقيقة ،

واشتهرت اشتهاراً لا يكتمه الجهل ، ولا يسع أحداً انكاره حتى ان أرباب المنطق يقولون (التصور هو الادراك الساذج) . والحقائق العرفية لا ينكرها الأصوليون ، ألا ترى أن العرب العرباء لما دار في عرفهم وفيما بينهم ، واشتهر ما لا هو من كلامهم ، بل هو من لسان الحبشة ، ومن لسان الروم ، ومن لسان الفرس ، ومن لسان الترك جعلوه من كلامهم ، وتداولوه فيما بينهم ، وأكثروا من استعمالهم ذلك حتى نزل به القرآن العظيم عليهم مثل (دسّاها) و (مشكاة) فانهما بلسان الحبشة ، ومثل (فردوس) و (القسطاس) فانهما بلسان الروم ، ومثل (اقليد) و (استبرق) فانهما بلسان فارس ، ومثل (غساق) فانه بلسان الترك .

وإذا كان هذا في القرآن العظيم الذي نزل على مثل فصحاء قريش وهم على ما هم من الفصاحة العظمى ، والبلاغة التي اذا ارتوى منها أحدهم لما يظمأ ، فما الظن بمن جاء في هذا الزمن الأخير ، ونظم الموشح والزجل ، ومزج هذا بالشعر القريض . فإنكار هذا من مثل صفي الدين عجيب الى الغاية على ان ابن الجواليقي قال في المعرّب [1] الذي له : (والساذج فارسي معرّب) .. فصار حكمه حكم اقليد واستبرق ، ولا نعي على ابن سناء الملك . ويا عناء ابن سناء الملك ، ويا خيبة آماله فيما نظمه ، وتوهمه في محاسنه التي لا يدركها إلا مثل صفي الدين وأشباهه من أشياخ الأدب وأرباب الذوق ... : » اهـ

ثم أورد أمثلة من (كتاب الخصائص) ، ومن (كتاب ذم السماع) للامام أبي بكر بن الحسين الآجري . في استعمال هذه اللفظة . وقال :

« وأما دعواه أن (تزوقت) من ألفاظ العوام فغير مسلّم . لأن ذلك لفظ جاء في

(١) المعرب من الكلام الأعجمي تأليف أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المولود سنة ٤٦٦ هـ — ١٠٧٣ م والمتوفى سنة ٥٣٩ هـ — ١١٤٤ م . طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ م ثم طبع بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ على عدة نسخ ومن أجل وأنفس طبع .

الحديث وهو (لا ينبغي لنبي أن يدخل بيتاً مزوقاً) أورده صاحب (الفردوس الأعلى) وقد قال الجوهري : والزاووق الزئبق في لغة أهل المدينة وهو يقع في التزويق [1] . لأنه يجعل مع الذهب على الحديد ، ثم يدخل في النار ، فيذهب منه الزئبق ويبقى الذهب ، ثم قيل لكل منقّش مزوّق وان لم يكن فيه الزئبق وزوقت الكلام اذا حسنته وقومته [2]

فقد ثبت أن (تزوقت) كلام عربي . » الى آخر ما قال ثم أورد شواهد لشعراء آخرين وقال :

« هذا البيت الذي لابن سناء الملك هو من جملة أبيات أولها :

يا ويح نفس عشقت ... مصرية تمدمشقت

ساذجة لكنها ... بالحسن قد تزوقت

ومنها :

. وكم لها من عاشق ... لحيته قد حلقت .

. ظبي اذا ما سكتت ... وظبية ان نطقت .

. وزوّرت لحية ... مسك نفحت وعبقت .

وما اكتفت بكتب نو ... ن الصدغ حتى مشقت

هويت منها علقة ... من نظرة تعلقت

وهي خمسة وعشرون بيتاً [3] من هذا النمط : فما لصاحب ذوق أن ينكر (ساذجة)، و (تزوّقت) » .

إن ورود هذه الألفاظ في الحديث وفي كلام الشعراء وغيرهم لا يخرجها عن كونها

(١) ورد في الصحاح للجوهري الزاويق .

(٢) الصحاح ج ٢ ص ٩٠ وقال في مادة زئبق أنه معرب .

(٣) ديوان ابن سناء الملك ص ١٤٧ وفيه الابيات كاملة .

معربة . والمهم — كما قال الصفي الحلي — أن تاريخها متصل بتاريخ الصنعة ، وهو تاريخ (التذهيب على الحديد) ، ثم (التنقيش والتصوير) ، وبعد ذلك التحسين ، ثم تحسين الكلام وتزويقه . أو أن يكون ساذجاً . وجاء في خطط المقريزي ذكر (كتاب النبراس وانس الجلاس في أخبار المزوّقين من الناس) لو تيسر الحصول عليه لادركنا تاريخ الصنعة ، ولكن الصفدي لم يدع في القوس منزع ، فأوضح الصنعة ، والمراد بأوجز عبارة .

وتعرض لهذا الموضوع المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه (التصوير عند العرب) ، كما تعرض له الدكتور زكي محمد حسن في كتابه (كنوز الفاطميين) ، وعرفه الاتصال بالتنقيش والتصوير والسذاجة ، وفي تاج العروس ما يؤيد قول الصفدي .

وهنا المراجعات العلمية أوضحت تعيين اللفظ العربي والمعرّب ، وأن لا تجاوز في الأخذ بما يعد مصطلحاً . فكان الخصام يدور حول الاستعمال الأدبي . وقد رأينا احياناً مصطلحات فقهية ، ونحوية وغيرها تدخل الشعر ... ويعاب في الغالب على أرباب العلم أو الصنعة أن يستقلوا بألفاظهم فيتخذوها لسان الأدب ، أو أن يجعلها الأديب لسان أدبه ، اذ للمصطلح لغة خاصة .

نكرشوا وطرطشوا :

وقال الصفي الحلي :

« انّ العلوق جميعهم قد نكرشوا وتهجّنوا وتقبّحوا وتوحّشوا[1]

قد أحسنوا في النتف لكن ماحوا تلك الخطوط به ولكن طرطشوا

فلا أدري أي الألفاظ العامية فيها أعدّد أ أعدّد ما في البيت الأول أو البيت الثاني . وأما لفظة نكرشوا وطرطشوا فلم ينطق بها عربي أبداً . وهـــذه لغة ناظمي الأزجال والمواليا . » اهـ

(١) ان هذا البيت والذي يليه لم اجد لهما أثراً في ديوان ابن سناء الملك .

قال الصفدي :

« قد مرّ الجواب عن استعمال مثل هذه الألفاظ مع تسليم كونها غير عربية ... والظاهر أن اصل تكرش تكرّش لأن العرب تقول تكرّش وجهه اذا تقبّض ، وكأن الانسان اذا أسنّ تكرّش وجهه وتقبّض وصارت فيه غضون لا تليق بالغصون كما يكون في الجبين المغضّن . على أن لفظة (تكريش) [1] بالأعجمي [2] معناه (ذقن جيد) ، الى أن قال وقوله وتهجنوا تقول العرب ان تهجين الأمر تقبيحه وقوله تقبّحوا عربي فصيح وهو تفعّلوا من القبح وقوله توحّشوا لفظة عربية قال الجوهري جاءني أوحاش من الناس أي سقاطهم وقوله النتف عربي فصيح فثبت بذلك ان ما معه في البيتين من الألفاظ الخارجة عن كلام العرب إلا تكرشوا وطرطشوا وما يقال في لفظتين ما أدري ما أعدّ ، أعدّ ما في الأول أم ما في الثاني ، ولكن التعسب يؤدي الى التغضب ، والتحامل ينتهي بصاحبه الى التخامل ، وما أحسن قول ابن سناء الملك :

قد احسنوا في النتف لكن ما محوا ... تلك الخطوط ، ولكن طرطشوا

ان هـذا المعنى حسن فيه غوص وابداع لأنه جمع فيه جميع الألفاظ التي يتداولها صغار المكاتب من قولهم محا لوحه وطرطش لوحي وخطي ... »

الفاظ أخرى :

وهكذا مضى الحلي في نقد ألفاظ أخرى . واستمر الصفدي في الاجابة فاعترض الحلي على (التمنيق) في بيت لابن سناء الملك ، فسلم الصفدي بانه غير وارد في اللغة ، ولكنه تمسك بجواز القياس . ثم مضى الى اسـتعمال لفظة « الشلاق » ، وهي من المعربات ، وهل يجوز اسـتعمالها دائماً . أو يقتصر على ما جاء في ألفاظ أكابر الأدب مثل لفظ النوروز والمهرجان وغيرها ؟ ثم ذكر ألفاظاً لم يجر العرب عليها باطّراد بل في شذوذ مثل

(١) اصلها نيك ريش .

(٢) بالاصل وردت بالعجمي

(هذاك) . أما الصفدي فانه لم ير بأساً فيها .

وهذه الأمثلة لا تمس اللفظ العامي ، أو المعرب بل تناولت ألفاظاً عربية ، وذكر مواطن اتساقها من ناحية الفصاحة مما هو معلوم في علم البلاغة .

فساد المعنى واختلاف التركيب :

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى . وأما ما أخرجوا له من فساد المعنى واختلاف تركيبه فكثير جداً كقوله في مليح أصابه يرقان :

قالوا غـــدا اليرقان ملء جفونه ‏ وبدوره يدنو ســـلو الأنفس

فأجبتهم كيف السلو وإنما ‏ في اليوم قد كملت صفات النرجس

فما كفاه ان جعل اليرقان في الأجفان . وإنما هو في بياض العين حتى جعل ما في النرجس من البياض أصفر ، وما فيه من الصفار أسود وأخلى النرجس من البياض . وجعله أصفر بين أسودين . ولولا اشتغاله بألفاظ العامة وتراكيبهم لما فاته مثل ذلك .

أقول : لا يلزم من قوله ملء جفونه أنه في نفس جفونه وإنما أراد بذلك أن اليرقان ملء ما بين جفونه كأنه قال ملء عيونه ، وقوله جعل ما في النرجس من البياض أصفر ... لا يثبت على محك البرهان ، وقد سامحت العرب أشياء كثيرة من هذا النوع ، انهم يطلقون الشيء على ما يجاوره ... ولم ينكر ذلك أحد عليهم وعدوه من المحاسن ... والشاهد على هذا كثير . على أن ابن سناء الملك رحمه الله تعالى ما ادعى صفة اليرقان للنرجس هو وحده ، ولا هو الذي اخترعه ، فهذا ابن الرومي وهو ممن لا يدافع قوله في التشبيهات يقول في هجو النرجس :

أنظر الى نرجس تبـدى ‏ يوماً لعينيك منـه طاقه

واكتب لشأني مشبهيـه ‏ بالحق في دفتر الحماقـه

وأي حسن يُرى لعين | مع يرقان يحل ماقه
كُرّاثة ركبت عليها | صفرة بيض على رقاقه

وقول أبي بكر الصنوبري يفضل الورد على النرجس :

زعم الورد أنه هو أزهى | من جميع الأزهار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغض | بذلٍّ من قولها وهوان
أيما أحسن الورد أو مقـ | لة ريم مريضة الأجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور | د إذا لم يكن له عينان
فزها الورد ثم قال جئتنا | بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من | عين بها صفرة من اليرقان

وابن سناء الملك من هنا أخذ قوله وإياه قلد ...

قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى . وقوله :

أكمن في كمي دموعي حياً | فهل علمتم ان كمي كمين

والدمع هو الكمين لأنه فعيل بمعنى فاعل مثل قدير وعليم ورحيم ، فالدمع هو الكامن في الكم بدليل قوله أكمن في كمي دموعي حياً . والكم هو الموضع المكمن فيه ، ثم قال كمي كمين ، وأضاف الى ذلك فساد اللفظ بقوله أكمن ، ولم يرد للعرب إلا كمن بغير الف ، فقد جمع في هذا البيت عدة عيوب مع أن لفظه مضطرب ، وهو خال من البلاغة .

أقول (القول للصفدي) :

قد تقدم الكلام أن الشعر لايثبت نقده على محك البرهان .

والشعر لمح يكفي إشارته | وليس بالهذر طولت خطبه

... ومن ذلك مثل قوله تعالى : « فقبضت قبضة من أثر الرسول » والتفسير أن السامري قبض قبضة من أثر فرس الرسول .. » .

وذكر توجيهات لما أورده الصفي ...

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وقوله في المدح :

تفضّل منك أغلى بينهم قيمي ... ومنّة منك أغلتني لهم قيما

فالمفهوم من صدر هذا البيت هو المفهوم من عجزه بعينه لفظاً ومعنىً ولم يغيّر في لفظه سوى التفضّل بالمنّة ومعناها واحد ، فلا فائدة في هذا العطف لكونه عطف الشيء على نفسه . وهذا لايفوت من هو دونه .

أقول :

ليس الأمر كما ادّعاه ابن سناء الملك لم يقله كما قاله هو ، وانما هو حرّفه عليه ، أو الناسخ غلط ووهم فصحّف وحرّف ، فان كان الناسخ وهم فله العذر في ذلك إذا كان مثل صفي الدين الحلي وهم فيه . والذي أعرفه أنا من هذا البيت انه :

تفضّل منك أغلى بينهم قيمي ... ومنة منك أعلتني لهم قمما

فالأول أغلى بالغين معجمة وقيمي بالياء آخر الحروف جمع قيمة والثاني أعلتني بالعين مهملة من العلو وقمماً بميمين جمع قمّة .

فحينئذ هذا البيت كله بديع ، ومعناه من ألطف المعاني وأمدحها فهو عكس ما أراده الشيخ صفي الدين ... ولو فرض ان البيت كما ادّعاه الشيخ صفي الدين لأمكن الجواب عنه » .

وهكذا مضى في تفصيل المباحث ، وأورد شواهد وأمثلة لتبرير ما قاله ابن سناء الملك وتوجيه ما توجه اليه من نقد ...

ثم إنه كتب رسالة في توجيه ما وجده من نقد في مصر موجه على ابن سناء الملك ، بجعل غالبه ناجماً من تصحيف شعره جعلها ذيلاً على كتاب الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك بعنوان (تلاوة لذات وعلاوة عليه) ودلّ ضمنها ما أراد .

وهذه قد كتبت بعد ذلك الكتاب وهي جديرة بالاهتمام وليس الغرض أن أقص جميع ما في الكتاب . أو ما في تلاوته وعلاوته . وغالب ما اعتذر الصفدي به لابن سناء الملك قوله : انه ورد الشعر بوجه آخر مما يدعو الى (تصحيح النقل) . وقد وضح مجرى النقد والانتصار .

وفي هذه الأيام لا تزال المناقشة قائمة بين الأدباء في مثل هذه الأمور ، فهؤلاء كلهم متفقون على استعمال الفصيح في اللغة ، وعلى مراعاة حسن التأليف في التركيب . مما يدلنا على خطأ رأي القائلين باستعمال العامية ، والاكثار من المعربات .

ومن الأدلة المسرودة يظهر ان الصفي الحلي قوي الحجة في نقده ، لا يقل عن نده ، وكان حريصاً على اللغة أن يدخلها ما يفسد صفوتها وبهاءها ، ولا نزال نرى الأمم في تعصب للغاتها في الشرق والغرب . فتسعى لتنقية ألفاظها ، وتراعي لهجتها ، ولا تزيغ عن تلفظها بوجه الصواب . وهكذا نرى الصفدي عظيماً في توجيهه الأدبي ، وانتصاره لابن سناء الملك الذي تواتر عليه النقد من أفاضل كثيرين في الأدب .

٦ — كتاب الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم :

هذا الكتاب من أجل كتب الأدب يحوي استعراضاً في (التاريخ الأدبي) ، وفي (النقد) ولم يقصد مؤلفه المؤرخ الأديب الصفدي لنقد خاص بأحد ما .

وجعل هذا الشرح للقصيدة المعروفة بلامية العجم واستهل كتابه بقوله « أحببت أن أضع عليها شرحاً يزين جيدها (فرائد) وقصيدتها (فوائد) ولا أغادر فيهما لغة ولا إعراباً ، ولا ايضاح معنى ولا إغراباً ... هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة ، ونعترض جملة (تذكر) بغتة ... ليكون هذا الشرح انموذج الأدب ، وعنواناً يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب فقد اودعت فيه فوائد جمة ، وقواعد مهمة . وشواهد

هي لجامحات المعاني أزمة [1] ... » اه .

كان وافياً بالحاجة مع الاختصار كفيلاً بالبيان وان لم يراع الاطناب فهو صفحة تنبيء عن نموذج العصور وصفوة الآداب وتحمل تاريخها ، فأبان عن معنى الأدب ، والذوق الأدبي ونقل أقوالاً وافية للجاحظ وابن قتيبة وما قاله صناديد الأدب في الأدب ووصاياهم فيه فأبدع في النقل والقول ، فتجلت موهبته في الأدب والصنعة .

بدأ بترجمة حياة الناظم وهو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي ثم شرح معنى الطغراء ... فتجلت القدرة التاريخية بارزة للعيان وسار في الأدب بتحقيق وتدقيق بل بعناية وعناء كأنه كشف عن أدبه المكتوم وأبان عن كامن قدرته ابانة لا تنكر قيمتها ، ولا يصح أن يهمل شأنها .

اتخذ موضوع أدبه نهجه فلم يترك نظمه ولا نثره ولعله أراد ان يشرح جميع ثقافته ويوضح حتى ما قيل في الكيمياء ونسبتها اليه ، والمعارضات لها ، وأورد :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب	ان يصنعوا ذهباً الا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة	الا من الفضة المعروفة النسب
فقل لطالبها من غير معدنها	أضعت نفسك بالتنكيد والتعب [2]

والموضوع بيان أدب أديب ، والمهارة في التصرف الأدبي ، وما يعوز من مظان مما له علاقة بجعله مجموعاً وافياً وثروة أدبية خالدة ... أحيا بأدبه ذكر الطغرائي ، وخلد شعره ، وعين منزلته بين الشعراء والأدباء المعاصرين له أو قبل عصره لجاهلي أو اسلامي وأفاد في علاقاتنا بالأدب العربي ومختاراته كثيرة جداً ، هي انتقاد أديب ، لا يستطيع إرادها أو

(١) الغيث الذي انسجم (الغيث المنسجم) في شرح لامية العجم ص ٣ الطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هـ وهذه الطبعة خالية من التحقيق والتدقيق ومثلها طبعة الطبعة الوطنية في الاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ .

(٢) الغيث الذي انسجم ص ١١ .

جمعها غير أمثاله ثم يوضح ما في المقامات أو يتناول التعليق على ديوان لا نستغني عنه فان السبق كان نصيب من كان سابقاً في مجال الأدب والتفوق شأن الحائزين على المسلم الوافر والحظ العظيم .

تطرق للعروض والأوزان وينقل عن العلامة شمس الدين محمد بن ساعد الأنصاري انه لا يبعد أن يكون الخليل أخذ عروضه من اليونان وتبسّط في ذكر نوادر عليه ، وتعرض للنقد والبلاغة والنحو ... وفي كل هذا كانت مادته خصبة ، ومباحثه ظلية مرغوباً فيها وتعد بحق إجمالاً لتاريخ الأدب العربي ومطالب نافعة اتخذ الاستطراد فيها وسيلة للترويح عن النفس لئلا يمل قارىء الشرح ، ولا يضجره استعراض أدباء العصور ، وأحياناً يذكر ما يسمى احتفاضاً ربما كان السبب في بقاء هذا الكتاب متداولاً .

هذه المجموعة لم تكن في ظاهرها أدباً معاصراً الا انها تكشف عن قدرة هذا الأديب الكامل بل تزيد أحياناً العلاقة العلمية بالأدب ، ينقد الشعراء والأدباء عند تسرب الخلل ، وظهور الزلل ... ويزيد على نقده الأدبي الخاص بالألفاظ وانسجامها والمعاني واتصالها وصفوتها ...

نرى هذا الأثر الجليل تناول النقد الأدبي واللغوي والنحوي والبياني ولم يقتصر على المنظوم وما فيه من صنعة أدبية ، بل تناول المنثور وما فيه من مزايا ، فكأنه استوعب وجوه الأدب ، وذكر غرره لأدبائنا وشعرائنا كما أورد نماذج من شعره وفي عمله هذا يبدي أدب المعاصرين واضحاً ويعين مكانتهم بوجه لائق وممن تعرض لهم :

١ — الشيخ صفي الدين بن سرايا الحلي .

٢ — الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الاربلي الحنفي وذكر له أبياتاً [1] .

(١) كتاب الغيث الذي انسجم ج ١ ص ١٥٢ .

٣ — الشيخ الامام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ... ذكر له من الشعر الشيء الكثير وذكر له كتاب حسن التوسل .

٤ — الشيخ أثير الدين أبو حيان ، من العلماء وشاعر أيضاً .

٥ — جمال الدين محمد بن محمد بن نباته [1] .

٦ — ابن دانيال الموصلي .

٧ — شرف الدين علي بن جبارة .

ولم يترك علاقته بعلماء اللغة ، ولا بالأدباء الآخرين فذكر في خلال مباحثه بيتي الحريري :

سم سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

وذكر نموذجاً من هذا القبيل وان للصاغاني محاولة في معارضة البيتين [2] ولأبي البيان نبا بن محمد بن محفوظ الدمشقي العالم اللغوي شيخ الطريقة البيانية المتوفى بدمشق في غرة ربيع الأول سنة ٥٥١ هـ ـ ١١٥٦ م قصيدة نظمها على هذا النمط ثم شرحها وكان الدافع له على ذلك تحرؤ الحريري البصري ومبالغته في الدعوى حيث جاء في المقامة الحلبية :

« فقال له : انشد البيتين المطرفين ، المشتبهي الطرفين ، اللذين اسكتا كلّ نافث ، وأمنا ان يعززا بثالث ، فقال له اسمع لا وقر سمعك ، ولا هزم جمعك . وانشد من غير تلبث ولا تريث البيتين المذكورين » وكأنه أراد أن يلفت الأنظار الى أن الأدب بأجمعه ثروة الأمة ، ولا ينبغي أن يكون مقصوراً على عهد من عهوده ، فلا يترك أديب أديباً ، ولا يهمل الشؤون الأدبية وان الروح الأدبي ذا الصنعة هو صاحب التقدير

(١) كتاب الغيث الذي انسجم ج ٢ ص ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٤٩ .

للفروق الأدبية دون التحليل العلمي ، فلا يزاحم الأدباء في الحكم وللمارسة حقها .

وتفضل هذه المجموعة بألوان أدبها وتاريخه وان كان امثالها من شروح لامية العرب وغيرها لا تخلو من فوائد إلا أن فوائد هذه جمة واختيارها بالغ حدّه ، بل أن ثقافة صاحبها وقدرته الأدبية جعلت لها هذه المكانة ، فلم يترك مناسبة إلا أورد لها ما شاء أن يورد من أدب متصل فكأن الأدب طوع ارادته كلّه مخزون في حافظته يختار منه ما شاء متى شاء .

وهذه المجموعة اكتسبت رواجاً ومكانة ، ورغب فيها الأدباء ، فكانت من خير الثروات الأدبية وصارت واسطة للاتصال بالموضوع الأدبي . وفي الموصل عدة نسخ منها نسخة في الخزانة الحسنية كتبت سنة ٨٧٣ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة ١٢٠٨ هـ [1] وفي دار الكتب الوطنية في طهران نسخة كتبت سنة ٨٦٨ هـ [2] .

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة نفيسة كاملة فيها تذهيب وتلوين ، كتبها عمران ابن محمد المغربي سنة ١٠١٧ هـ وأخرى نفيسة وقديمة كتبت في حياة مؤلفها تقع في جزئين ضمن مجلد واحد ونسخ أخرى [3] .

ومنه نسخة خزائنية وأخرى ناقصة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد ونسخة كتبت سنة ٩٨٢ هـ في خزانة الأزهر مع نسخ أخرى [4] . واختصره جماعة من العلماء منهم :

١ ـ كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى الدميري المصري ، ولد سنة ٧٤٢هـ ـ ١٣٤١م وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م أتمه في أربعة أيام سنة ٧٦٩ هـ منه نسخة في خزانة مجلس

---

(١) معلومات الموصل ص ١٢٤ و ٢٢٩ .

(٢) مجلة المخطوطات العربية ج ٣ ص ٢٤ .

(٣) مجلة سومر ج ١٤ ص ١٢٦ من مقال للأستاذ كوركيس عواد .

(٤) الكشاف ص ١٦٥ وفهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ١٩٦ .

الأمة الايراني بخط محمد بن ابي بكر السنودي من تلامذة المترجم مؤرخة سنة ٨٠٥ هـ وعليه اجازة بخط المؤلف [١] . ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٤٥ هـ .

٢ — جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المولود ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٨٦٩ هـ ـ ١٤٦٥م والمتوفي بالهند ليلة العشرين من شهر شعبان سنة ٩٣٠ هـ ـ١٥٢٣م وسماه (نشر العلم في شرح لامية العجم) أوّله : الحمد لله الكريم المنان المنعم بالايجاد والاحسان ...

واقتصر فيه على ما يتعلق بشرح القصيدة وحل غريب لغاتها وتوضيح معانيها وكان يظن أن المقصود أمر علمي وأنه يجب أن يقتصر على الحاجة ، فلا يتجاوزها في حين ان تكثير الأمثلة والاستطرادات خير ممارسة وتمرين على الأدب للتمكن والتضلع فيه . وهذا الاختصار أزال صفوتها وأحبط أمل مؤلفها وغايته من وضعها وقد أخل بالكثير مما أراده الصفدي وحذف منها ما عده فضولاً ولكنه لم يدرك المغزى بل أهمله وأضاع الغرض والقصد العظيم الذي قصد ، ومهما كان فليس من الانصاف أن نقتصر على بعض ما فيه دون بعض .

منه نسخ خطية في دار الكتب المصرية . وطبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ و١٣٢٠ هـ[٢] وفي المطبعة الكستلية سنة ١٢٨٣ هـ و ١٢٩٣ هـ ضمن مجموعة وعندي مخطوطة منه . ومنه نسخة ضمن مجموعة في خزانة السيد اليزيد بن صالح حاكم تطوان [٣] ونسخة في خزانة المتحف العراقي مؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢١٥ هـ .

ورد عليه الدماميني في كتابه نزول الغيث وسيأتي بحثه .

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٤٢ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤٩١ .

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ ص ١٨٢ .

٧ — نصرة الثائر على المثل السائر :

تأليف الصلاح الصفدي منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ أحمد تيمور باشا وهذا الكتاب ولّد حركة فكرية تجاه كل من المثل السائر والفلك الدائر وسبق ان ذكرنا المؤلفات المتعلقة بهذين الكتابين من نقد وتأييد فلا نعيد القول ثانية ..

٨ — خبز الشعير :

تأليف جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصري ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م وتوفي سنة ٧٦٨ هـ — ١٣٦٦ م الكاتب الشاعر . وهذا الكتاب في مخترعاته وما سرق منها ويشير فيه الى سرقات الصفدي منه [١] .

٩ — الحجة في سرقات ابن حجة :

تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المصري . ولد سنة ٧٨٥ هـ — ١٣٨٣ م وتوفي سنة ٨٥٩ هـ — ١٤٥٤ م . وابن حجة هو تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي المولود بحماة سنة ٧٧٧ هـ — ١٣٧٥ م والمتوفى سنة ٨٣٧ هـ — ١٤٣٣ م . منها نسختان في خزانة الأزهر [٢] .

١٠ — نزول الغيث :

التتبع الأدبي حرّ والآراء فيه تابعة للمواهب وكل أديب يدقق الأدب حسب اتجاهه ومقدار علمه ... والأمل معقود في أن ينال التمحيص حقه واختلاف وجهات النظر فيما يتطلبه الأدب في أصوله ومزاياه ونقده ، فينال حظه من تراثنا الأدبي في الدرجة الأولى ، ولا نهمل الاستفادة من آداب الأمم لتتسع آفاق الثقافة الأدبية وهذا جلّ ما نهدف وغاية

(١) هدية العارفين ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) فهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ١٩ .

ما ينبغي ، فيؤدي الى حركة فكرية من طريق التاريخ الأدبي ونقده .

وكتاب « نزول الغيث » تأليف بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني العالم النحوي . فرغ منه في ١٩ شهر ربيع الأول سنة ٧٩٥ هـ وكانت ولادته بالاسكندرية سنة ٧٦٣ هـ — ١٣٦١ م ووفاته في شعبان سنة ٨٢٧ هـ — ١٤٢٤ م . تناول كتاب (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي فأوسع القول فيه وتصدى لنقده ونافش ، وطرق فيه مطالب غزيرة في مادتها العلمية والأدبية بالرغم من ضيق مباحثه إلا ان فوائده جمة وعلمه وافر وسمّى كتابه « نزول الغيث » لأنه أنزل مباحث الصفدي الى الحضيض ، وأوقعه من اعتراضاته الأدبية في الطويل العريض ، حسب تعبيره ثم أطال في تسمية لامية العرب وما يقابلها من لامية العجم ثم علّق على بحث مهم في العروض يدل على تمكنه منه [1] ونقد ابن حجّاج في انّ شعر الورى كان صحيحاً قبل أن يخلق الخليل بن أحمد ، وغلّط الصفدي في الزحاف وأخذ عليه في قوله :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل　　　وحلية الفضل زانتني لدى العطل

ان تاء التأنيث الساكنة في صانتني فاعل ، ولم يجعلها علامة التأنيث ، فقال : إن هذا قول بعض النحاة إلا أنه على خلاف رأي الأكثرين المعوّل عليهم ، وكرر القول فيها عند الكلام على قوله :

إن العلى حدّثتني وهي صادقة　　　فيما تحدث أن العزّ في النّقل

فبيّن الأستاذ الصفدي أنها (علامة التأنيث) ولم يجعلها فاعلاً بل قال : إن الفاعل ضمير مستتر فلم يجعل هذا مصححاً فيه لما ذكر سهواً أو عمداً لإبداء الآراء ، فاستعمل

(١) ألف في العروض (جواهر البحور) ثم شرحه بكتابه (معدن الجواهر) .

تاء التأنيث الساكنة فاعلاً في حين أن الصفدي كان قوله الأخير مصروفاً الى أنها علامة تأنيث وصاحبنا أصر في محاولة أن يبدي خلافاً ، فكانت هذه المحاولة فاشلة .

ثم أورد عليه ما اقترحه في (بيت البحتري) في توجيه النظم الى نوع من أنواع البديع ورجّح ان تبدل بعض ألفاظه بغيرها ليظهر أثر الصنعة الأدبية فأبدى الدماميني أن هذا تابع لرغبة المتأخرين ، وان البلاغة مراعاة مقتضى الحال لما كان أيام البحتري فكان صواباً ولنقده هذا قيمته الأدبية ولا نزال نرى كثيرين ساروا على طريقة الصفدي ، ولم يعبأوا بالزمن وأدبه الشائع في حديثه والأدب القديم ووجوه استعماله فان أيام العماد الاصبهاني والقاضي الفاضل ، وابن حجّة الحموي غير أيام الجاحظ وابن المقفع وأمثالها في أدب العصر الذي كانوا فيه والفروق بينه وبين عصر أولئك ، ومن بعدهم أمثال ابن حبيب وابن عربشاه ، والصفدي نفسه ولمل الاعتياد والالفة مما أوقعا في الغلط .

وهكذا تكلم في حسن التعليل المسمى عند بعضهم (بالتذييل المثالي) وناقش المؤلف فيه وضرب الأمثلة الموضحة ، فكانت خير ما يستشهد به وتدل على غزارة علم ومما ذكره الصفدي ان الجمع لا يوصف الا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد ومثله المثنى أو كما قال الدماميني من أنه اذا وصف المثنى أو الجمع بشيء فلا بد أن يكون مفرد الصنعة صالحاً لأن يتصف به مفرد المثنى أو الجمع ، فاختلف الواحد عن الآخر في الوجهة التطبيقية فقد ذكر الصفدي ذلك بمناسبة البيت :

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني   باللمح من خلل الأستار والكلل

وأورد الآية « وأخرُ متشابهات » ومضى في هذا المنوال وكان الصفدي اشترط عذوبة الألفاظ ، وأنها أمر مهم في البلاغة فعارضه المؤلف في محل استعمال الغريب والوحشي المتوعر مع التسليم بما ذكر ، وهكذا بيّن محل استعمال (لا) النافية

للجنس ، وذكر مذاهب النحويين في وجوه نحوية عديدة ، وأورد اختلافهم فيها والمفروض ان الأديب مستكمل العدة فيها وغلطه نادر في (ناء عن الأهل) وان أصله (نأي) ولم يكن كما ذكر من مثل جاء وشاء ... والمسألة صرفية ، ويظهر أن القول قول الناقد وان الحق معه دون الصفدي إذ لا ضرورة الى تعللات بعيدة .

وغلطه في مسائل نحوية وصرفية عديدة وهي من اختصاصه وابدى تقصيره ، وأكد أن توجيهه لم يكن في محله من هذه المسائل ... وذكر من النحويين شمس الدين الاصفهاني والتاج التبريزي وأورد شرحها على الكافية . وغلطه في اللغة في معنى (سأر) مبيناً ان الجوهري اذا انفرد لا يقبل قوله ما لم يؤيده آخر ، وهذا ما نقوله دائماً من ان الصحاح والقاموس قد جرت عليها تصحيحات واستدراكات ونقد فأهملنا ذلك ، وجمدنا على كتاب بعينه .

والملحوظ أنه تحامل تحاملاً منكراً في مواطن مثل قوله : « لو استحيى هذا الرجل ما سطّر بقلمه في الكتب هذه الفضائح » ويريد الأدب المكشوف وقوله « هكذا يكون الأدباء العارفون بلغة العرب لمعنى الحقيقة والمجاز ... ؟ » اه في محل الاستهزاء ، وقوله : « وهذه سقطة لا يغسل دنس عارها البحر » اه .

ولا حاجة بنا الى ايراد كل ما قال ، كما أنه ليس من الصواب الاعتذار له وقد قيل قديماً « مناظرك نظيرك » فلم يكن للطعن فيه وجه والمرء لا يكون معصوماً من غلط ، ولا يؤاخذ بهذا العنف مما لا نعتقد بصحة ما قال الدماميني أو ما قال غيره وكل احد يؤخذ من اقواله ويرد في مثل هذه المباحث .

ولعل السب والشتم من بعض المعاصرين مقتبس من أمثال هذا ، وإلا فلا نستطيع ان نعدّ منهم ذلك طبيعة ولا يصح بوجه ان نقول : إن النهج الأدبي يقتضي السب ، والأدب بمعناه العام يمنع قبول ما هو خلاف الأدب .

ويهمنا التنبيه على بعض ما وجد من نقص أو غلط نقطع بصحته مهما كان منشؤه ، والملحوظ أنه أراد أن يظهر قدرته ، فاتخذ ذلك وسيلة ولكنه لم يلتفت الى قيمة كتاب الصفدي النفيس في الأدب العربي وتاريخه ، والنقد ومكانته ، فلا شك أنه كان أكثر صلة بالأدب ومزاياه من الناقد ، فجاء التحامل عليه منتقداً بل لو لم تكن له إلا معرفة العلاقة التاريخية لكفاه فضلاً للدلالة على ادبه الغزير ، وفضله الكبير ، ومقدار علمه الوافر وهذا ما لا يقتضيه واجب الذمة في النقد وربما كان مبناه الاعتقاد بصحة ماذهب اليه المؤلف الذي توجه عليه النقد وفي هذا نكران للمكانة الأدبية فمن الضروري النظر اليها كالنظر الى تلك بمقياس متساوٍ بل أكثر ...

وهنا علمنا أن له أخطاء أو أغلاطاً فهذه لا تخل بمكانته ولا تؤدي الى التقليل من شأنه كما اننا لا ننكر فضل الناقد . ويلاحظ هنا : أن النقد متوجه على ما يخص الأغلاط النحوية والصرفية واللغوية دون النقد الأدبي كما هو الشأن فيه أيام العصور العباسية ومن ثم روعي هذا النقد وحده دون غيره واستمر في حين أن النقد الأدبي اكتفي فيه بما جاء في كتب البلاغة .

ونزول الغيث منه نسخة ناقصة الأول بخط المؤلف ضمن مجموعة في خزانة الدكتور داود الجلبي وجاء في مخطوطات الموصل (وبعد ختام الكتاب تأتي صفحة بخط مغربي جميل وإذا به خط ابن خلدون وقد قرظ الكتاب بقوله : « الحمد لله وقفت على هذا الكتاب ، روضة المنتاب ، ونزهة المجتاب ، وشفاء الجاهل والمرتاب ، والكفيل لغريم الفوائد بالرضى والأعتاب واذا البحر يعبّ عبابه ، والتنقيح الصريح قد تمخّض لبابه ، والفخر نافثة العلمية قد تظاهرت اسبابه ، وروض المعارف ذو الظل الوارف قد استجدّ شبابه ، وطور الكمال للفكر الانساني ، والعلم الانساني ، قد انفتح بابه ، وما لساحب هذه الأردان والسابق في هذا الميدان ، ان لا يكون له بالفخر يدان ، ويشمخ بأنف بني

عبد المدان ، فيبعد في جو الكمال بمنظاره . . . كتبه محبه العارف بكماله عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله وإعانه على الانصاف والاعتراف بمنه وجوده » ويظهر الورقة تقريض آخر لأحمد بن محمد السبتي المالكي وبخطه أيضاً ثم يأتي تقريض ثالث آخره ناقص [1]) .

وعندي نسخة من هذا الكتاب مؤرخة في ١٨ من شهر رمضان سنة ٨٧٨ هـ بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المغربي السبتي وعليها اعتمدت في بحثي .

هذا ما أمكن بيانه في النقد الأدبي وتاريخه وذكر مصادره وما جرى أخيراً على الاستاذ الصفدي من نقد وقع من الاستاذ الدماميني . ولم يقف الأمر عند هذا الاستاذ بل تناوله آخرون فكان تقدمهم قاسياً ومنهم أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة صاحب التصانيف العديدة . ولد سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٤م وتوفي في سلخ ذي القعدة سنة ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٥ م . قال في نقد الصفدي :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته ... تأتي بكل قبيحة وقبيح

نسب المعاني في النسيم لنفسه ... جهلاً فراح كلامه في الريح

وامثال هذا يدل على حنق سواء من ابن نباتة أو من الدماميني أو من غيرهما . والانظار تختلف وقد تكون من محب مفرط أو من عدو مبغض ...

عباس العزاوي

---

(١) مخطوطات الموصل ص ٢٢٨ للدكتور داود الجلبي المتوفى في الموصل بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٦٠ ومنه نسخ في دار الكتب المصرية الفهرس ج ٣ ص ٤١٠ .

البحث العلمي عند العرب المسلمين

انصب معظم بحوث المحدثين في تأريخ العرب على الناحيتين السياسية والأدبية . أما النواحي الأخرى من نواحي الحياة ، ولا سيما الناحية العلمية ، فلم تحظ إلا بعناية قليلة ، مع أنها ليست بأقل خطورة منها من الناحية السياسية أو الناحية الأدبية لأمة ما . ولهذا كان علمنا بالبحث العلمي وباشتغال العرب المسلمين بالعلوم ضئيلاً ساذجاً ، وأكثره من النوع العام الذي لا يستند الى دراسات نقد وتحليل ومقارنات ومقابلات مع الأصول القديمة فجاء جزئياً ناقصاً ، لا يقدم مادة في تأريخ تطور العلم ، ولا رأياً في درجة تقدمه ومقدار صفائه عند العرب المسلمين .

وحينما أقول : العلم ، أقصد ما يقال له « Science » في الانكليزية من أصل كلمة « Scientia » اللاتينية و « Wissenschaft » في الألمانية . ولهذا لن أتحدث هنا إلا عن الموضوعات التي يدخلها أبناء هذا اليوم في هذا الإطار ، كالكيمياء والصيدلة والفلاحة والرياضيات والفلك وأمثال ذلك . وسأحصر كلامي هنا في التحدث عن الكيمياء والفلاحة

هذا ، ولا بد لي ، قبل الدخول في الموضوع ، من الإشارة الى أن من أهم أسباب جهلنا بتأريخ تطور العلم وتطور بحوثه عند العرب المسلمين هو قلة المطبوع من كتب العلوم العربية القديمة ، وسقم أكثر المطبوع من حيث التحقيق والإخراج وكثرة الخطأ فيه . وانصراف أكثر المحققين والناشرين للمخطوطات عن تحقيق المخطوطات العلمية والحرفية وميلهم الى تحقيق الكتب التأريخية والأدبية ، وهي كتب يكتب لها البيع